عمادة الدّراسات العليا
جامعة القدس

آيات التَّقدم والتَّأخر في القرآن الكريم
(دراسة موضوعيّة)

البراء خليل سليمان رمانه

رسالة ماجستير

القدس _ فلسطين

1444هـ / 2022م

آيات التَّقدم والتَّأخر في القرآن الكريم
(دراسة موضوعيّة)

إعداد:

البراء خليل سليمان رمانه

بكالوريوس الفقه والتَّشريع وأصوله من جامعة القدس (فلسطين)

المشرف: الدكتور محمد يوسف الدّيك

قُدّمت هذه الرّسالة استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدّين من كلية الدّراسات العليا في جامعة القدس.

1444هـ / 2022م

جامعة القدس
عمادة الدّراسات العليا
ماجستير أصول الدّين

إجازة الرّسالة

آيات التَّقدم والتَّأخر في القرآن الكريم
(دراسة موضوعيّة)

اسم الطالب: البراء خليل سليمان رمانه.
الرقم الجامعي: (21820224).

المشرف: الدكتور محمد يوسف الدّيك.

نوقشت هذه الرّسالة وأجيزت بتاريخ 17\8\2022م من أعضاء لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتواقيعهم:

1. رئيس لجنة المناقشة: الدكتور محمد يوسف الديك. التّوقيع: ....
2. ممتحنًا داخليًا: الدكتور حاتم جلال التّميمي التّوقيع: ....
3. ممتحنًا خارجيًا: الدكتور عودة عبد الله التّوقيع: ....

القدس _ فلسطين
1444هـ / 2022م

إهداء

إلى المعلم الأول، والرّسول الأعظم، والنّبي الأكرم، أفضل الخلق، وحبيب الحق، صاحب الشّفاعة والوسيلة والفضيلة، والدّرجة العالية الرّفيعة، سيد ولدِ آدم، قائدنا وقدوتنا وفخرنا وذخرنا وحبيبنا وتاج رؤوسنا وقرة عيوننا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

1. أبي الحبيب، الخليلُ الأصيل، الرّجل العظيم الذي لمّا طلبت منه نجمة، جاء إليّ وهو يحمل نجومَ السّماء على كتفيه، المكافح العصامي الذي حمل على عاتقيه مسؤولية تربيتي قبل أن أُولد، فاختار لي أمًا عظيمة، وتكفل بأعباء تعليمي وبناء حياتي بكل الحب، دون كللٍ أو ملل، منذ لحظة مولدي وحتى هذه اللحظة.

2. أمي الغاليّة، الإنسانة العظيمة، التي آوتني في رحمها، ثم لجأت إلى قلبها فكان لي وطنًا، ثم دثرتني بدعائها الطَّيب المبارك مع كل شهيق وزفير، واحتوتني بفيض حنانها فكانت لي عالمًا جميلًا أرق من ورق الورد.

3. ولدي الغالي، (رُمانتي الخليل) أجملُ نِعَمِ الله عليَّ، المنحة الرَّبانية التي أكرمني بها ربي، قُرة العين، وحبيب القلب، ورفيق الدَّرب، أسأل الله أن يحفظه ويجعله من الصَّالحين البارين.

4. إخوتي وأخواتي من دعموني وشجعوني، ووقفوا بجانبي سندًا وعونًا ومددًا ودرعًا حصينًا بدعواتهم وكلماتهم الطَّيبة، (مهاب، إسراء، الباسل، سماح، سندس، سديل، محمد).

5. الزَّهراء فاطمة دغلس (أم رشدي)، الأخت الكريمة، التي كانت ولا زالت خير مؤازرة ومساندة وداعمة لي في مسيرتي العلمية والعملية.

6. إخواني وأخواتي طلبة العلم الشَّرعي ممن يحملون أمانة نشر الدّين ابتغاء مرضاة الله عز وجل، ويبذلون في سبيل ذلك كل غالٍ ونفيس، وإلى كل باحث عن الخير وطالب للحق.

إلى كل هؤلاء الكرام، أُهدي حصاد هذه الرّسالة العلمية، سائلًا الله أن يجزيهم خير الجزاء، ويكرمنا وإياهم بالقبول والتَّوفيق والتَّفوق والسَّداد والرَّشاد والإخلاص والإحسان في القول والعمل.

البراء خليل سليمان رمانه

إقرار:

أُقرُّ أنا مُعِدُّ هذه الرّسالة، بأنَّها قُدّمت لجامعة القدس لنيل درجة الماجستير في أصول الدّين، وأنّها نتيجة أبحاثي الخاصة، باستثناء ما تم الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرّسالة أو أيّ جزءٍ منها لم يُقدّم لنيل أيّ درجة علميّة لأيّ جامعة أو معهد آخر.

التّوقيع:

الاسم: البراء خليل سليمان رمانه

التّاريخ: 2022/8/17

شكر وتقدير

أولًا فإني أتوجه بعظيم الشُّكر لله عز وجل، على عونه وتوفيقه وكرمه وعطائه ورحمته ولطفه وعنايته ورعايته الذي كان لي عونًا وسندًا ومددًا في كل خطوة من خطوات إتمام هذه الرّسالة، فاللهم ربنا لك الحمدُ ملءَ السّمواتِ وملءَ الأرض وملءَ ما بينهما، وملءَ ما شئتَ من شيء بعدُ، أهلُ الثّناءِ والمجدِ، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجَد منك الجَد.

تقف حروف الأبجدية بكل احترام تُعبر عن عظيم الشُّكر والتَّقدير، لكل من وقف معي وساندني، في سبيل إنجاز هذه الرّسالة، وجَعْلِها ترى النُّور، وأخُص بالشّكر الجزيل والعرفان الجميل:

1. رئيس جامعة القدس الأستاذ الدّكتور عماد أبو كشك، الأب الحاني، والرّجل الكريم، الذي شملني بكرمه وعطائه، وأولاني اهتمامه ورعايته، ووثق بقدراتي فكان لي خير عون وسند في دراستي الجامعيّة.

2. فضيلة الدّكتور محمد يوسف الديّك، الذي شرفني بإشرافه على رسالتي، فوجدتُ فيه المعلم النّاصح، والأخ المخلص، والصّديق المرشد، صاحب الفهم والفقه، والعلم العميق الدّقيق، والعقل الرّاقي، والرأي السّديد، ذو الحكمة والنّظر الثّاقب، والفهم الواعي بالواقع ومجرياته، والتّواضع واللطف، السّهل الهينُ اللينُ الحبيب.

3. فضيلة الأستاذ الدّكتور (حاتم جلال التّميمي)، وفضيلة الأستاذ الدّكتور (عودة عبد الله)، اللذان شرفاني بمناقشة الرّسالة، وتقديم النّصائح الطّيبة، والإرشادات القيمة التي كان لها شأن كبير في زيادتها قوة وحُسنًا.

4. الرّجال الجنود الأوفياء في جامعة القدس، الذين ساعدوني في إتمام الشّؤون الأكاديميّة والماليّة:

الدّائرة الماليّة: المدير المالي في جامعة القدس، د.هاشم ذويب – أبو أنس.

مسؤول محاسبة الطّلبة: أ. مهند دنون.

المنحة العالمية لدعم الطّلبة العرب: د. بسام بنات، أ. محمد جاموس، أ. يزن حلبية.

الشّؤون الأكاديميّة: د. أحمد القطب، د. غسان الدّيك.

والشّكر والدّعاء موصول إلى كل من له حق عليّ، وأسهم في إخراج هذه الرّسالة إلى النّور.

الملخّص

يتناول هذا البحث موضوع التّقدم والتّأخر في القرآن الكريم، حيث قمتُ في هذه الدّراسة بتوضيح أهم الألفاظ ذات العلاقة بالموضوع، كالسّبق والسّلف والابتداء والوصية والعتيق، والخلف والعجز والبطئ والنسيء، فاشتملت الدّراسة على ذكر معاني التّقدم والتّأخر، مع ذِكرِ اشتقاقات هذين اللفظين في القرآن الكريم.

ويستعرض البحث الآيات القرآنية الكريمة التي تحدثت عن موضوع التّقدم والتّأخر، ويهدف البحث إلى بيان مجالات التّقدم والتّأخر في القرآن الكريم زمانيًا، وفي المنزلة والشّرف، والخير والشّر.

ويبين البحث أفضل وأقبح صفات المتقدمين والمتأخرين، وجزائهم على أعمالهم في الدّنيا والآخرة ثوابًا وعقابًا.

وقد تم التّوصل إلى مجموعة من النّتائج، أهمها أن التّقدم في معالي الأمور يحتاج إلى إقدام وهمة من الإنسان، يقوده ذلك إلى أعلى مراتب الدّنيا والآخرة، وذلك ضمن توجيهات الوحي بالالتزام بما جاء في القرآن الكريم والسّنة النّبوية الشّريفة، وأن التّأخر والتّخلف هو نتيجة الإحجام والرّكون إلى الدّنيا وملذاتها الفانية، والذي من شأنه أن يؤدي بالإنسان إلى مواطن الذّل والهوان والخسارة في الدّنيا والآخرة، فالخير كل الخير في الإقدام على طاعة الله وتقديم الخير والنّفع للبشرية، والتّأخر والامتناع عن معصيته، وهو الهادي والمرشد إلى سواء السّبيل.

ومن أهم التّوصيات: أنه يجب على طلبة العلم الشّرعي بذل مزيد من الجهود في دراسة مواضيع القرآن الكريم وفهمها ووعيها، فالقرآن الكريم بحر من الأسرار والعجائب التي لا تنتهي.

الكلمات المفتاحية: التّقدم، التّأخر، القرآن الكريم.

Expedited Action and Deferred action in The Holy Qur'an.

Prepared by: Albaraa Khalil Suliman Rumaneh

Suprervisor: Dr. Mohamad Al-Deek

Abstract

This thesis addresses expedited vs. deferred actions in the narrative of the Holy Qur'an, clarifying the most important relevant vocabulary, such as head starting, advance payment, commencement [of a transaction], will [of a deceased person], manumission, not fulfilling a pledged or contracted action, inability to do so, slowing down, and delaying fulfillment.

Therefore, this study includes the various meanings of expedited and deferred action, and the etymology and the grammatical variations of both words in the Holy Qur'an.

In addition, this study lists the relevant Qur'anic verses that address the above topic, and the implications for time, status, importance, and the categories of good and evil.

The most important result and therefore suggestion of this study is that students of Islamic Studies should exert more effort in learning, understanding, and absorbing the various topics in the Holy Qur'an. Verily, the Holy Qur'an is an ocean of unlimited marvels and wonders.

Keywords: Expedited Action, Deferred action, The Holy Qur'an

بسم الله الرّحمن الرّحيم

مقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، أدى الأمانة، وبلغ الرّسالة، فكشف الله به الغمة، وترك الأمة على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك أو ضال، فاللهم اجزهِ عنا خير ما جزيت نبيًا عن أمته، ورسولًا عن دعوته ورسالته، والصَّلاة والسَّلام على سيد الأنبياء وإمام المرسلين، سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه واتبع منهجه واقتفى أثره وهداه بإحسان إلى يوم الدّين، أما بعد...

فقد اهتم علماء أمتنا الكرام اهتمامًا كبيرًا بكتاب الله تبارك وتعالى، في مختلف جوانبه قراءةً وتدبرًا وتفسيرًا وتحليلًا وإعجازًا وغيرها، فهو كلام الله سبحانه وتعالى، والمعجزة الخالدة إلى قيام السّاعة، ودستور الأمة الإسلاميّة، وفيه صلاح أحوال الخلق جميعًا وإصلاحها، وهو أصلُ كلِ خير، ومنبعُ كلِ فضيلة، وفيه من الشّرائع والأحكام والتّوجيهات والإرشادات ما يجعله أساس سعادة الإنسان ونجاحه في الدُّنيا، وفوزه وفلاحه في الآخرة، وبناءً على ذلك فإنّ علم تفسير القرآن الكريم مِنْ أجَلّ العلوم وأفضلها، وخيرِها وأنفعِها، وأشرفها منزلة وأعلاها قدرًا، فشرف العلم بشرف المعلوم عنه، فكان موضوع البحث متعلقًا بكتاب الله عزّ وجل، وتحديدًا في الحديث عن موضوع آيات التَّقدم والتَّأخر في القرآن الكريم، وهو من المواضيع المهمة التي تستحق الدّراسة والاهتمام، لما له من دور كبير في نهضة المجتمع وتقدمه أفرادًا وجماعات، سائلًا الله أن يكتب لي بذلك الأجر والثّواب، وينفع بهذا العمل الإسلام والمسلمين إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

أسباب اختيار الموضوع

هناك عدة أسباب وراء اختيار موضوع الرّسالة، أهمّها:

- قلة الدّراسات العلمية التي تناولت موضوع آيات التّقدم والتّأخر في القرآن الكريم، وعدم وجود دراسة علمية خاصة مستقلة تشمل الموضوع كاملًا.

– أهمية التّقدم في تطور ورقي الأفراد والمجتمعات والحضارات والشّعوب وازدهارها، والتّأخر يؤدي إلى خلاف ذلك.

– حاجة الأمة الإسلامية اليوم إلى التّقدم، والعودة لمكانتها الحقيقة، ومكانها في قيادة العالم، في ضوء توجيهات القرآن الكريم.

أهمية الموضوع

تكمن أهمية موضوع هذه الرّسالة في كونها:

– تتعلق بأسباب التّقدم والتّأخر في الحياة الدّنيا والآخرة.

– تتعلق ببيان أداة القياس الصّحيحة في تطور الشّعوب اعتمادًا على منهج الوحي.

– ترشد الأمة الإسلاميّة نحو آليات التّقدم والتّطور والإزدهار.

مشكلة الدّراسة وأسئلتها:

تكمن مشكلة الدّراسة في توضيح ماهية العلاقة بين مصطلح التّقدم والتّأخر، هل علاقة الضّد أم أن السّياق القرآني يوضح المعنى؟ وما علاقتهما بالتّطور والتّخلف؟

وجاءت هذه الدّراسة لتجيب عن جملة من التّساؤلات، أهمّها:

– ما المقصود بالتَّقدم والتَّأخر في القرآن الكريم؟

– ما أنواع التَّقدم والتَّأخر في القرآن الكريم؟

– ما أفضل صفات المتقدمين والمتأخرين وأقبحها؟

أهداف الموضوع

– توضيح المقصود بمصطلح التّقدم والتّأخر في القرآن الكريم.

- الوقوف على أبرز مجالات التّقدم والتّأخر في القرآن الكريم.

- بيان نتائج وآثار دراسة مصطلح التّقدم والتّأخر في القرآن الكريم.

منهج الدّراسة:

اتبعتُ في هذه الدّراسة منهج التّفسير الموضوعي، والذي يقوم على استقراء ألفاظ الدّراسة والألفاظ ذات العلاقة، ووضع العناوين الرّئيسة والفرعيّة عبر استنباطها من الآيات القرآنية.

واتبعتُ في ذلك الخطوات الإجرائية الآتية:

1- جمع الآيات التي تتعلق بألفاظ التَّقدم والتَّأخر في القرآن الكريم.
2- وضع العناوين الرّئيسة والفرعية من خلال موضوع الآيات القرآنية وفق منهج التَّفسير الموضوعي.
3- توثيق الآيات القرآنية في متن الرسالة تجنبًا لإثقال الهوامش.
4- تقسيم الموضوع إلى عناصر مترابطة في ضوء الآيات والعناوين الموضوعة لها.
5- ذكر أسباب النّزول للآيات - إنْ وجد، وبشرط كونه صحيحًا- وما يترتب على ذلك من دلالة.
6- تخريج الأحاديث وذكر حكم أهل الاختصاص عليها إن كانت في غير الصّحيحين.
7- الوقوف على أبرز اللطائف المستنبطة من الآيات الكريمة، مع الإفادة من أقوال المفسرين فيها، والتَّرجيح بينها.

حدود الدّراسة

هذه الدّراسة محدودة بدراسة آيات التَّقدم والتَّأخر في القرآن الكريم، وتشتمل على جميع مشتقات مادة (ق د م) ومادة (أ خ ر)، وقد استُثْنِيَت بعض الألفاظ التي لا تخدم موضوع الرسّالة وهي:

من ألفاظ التّقدم المستثناة: أقدامنا، الأقدام، أقدامكم.

من ألفاظ التّأخر المستثناة: آخَر، آخَران، آخَرين، آخَرون، الآخَر، الآخَرين، أُخر، أُخرى، الأُخرى.

الدّراسات السَّابقة

التَّقدم والتَّأخر في ضوء قوله تعالى "ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين" – الحجر 24.

وهو بحث محكم للباحثة د. عائشة بنت محمد الحمدان، نُشرَ في مجلة تبيان للدراسات القرآنية، العدد 38، ص205 – 255، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية– الجمعية العلمية السّعودية للقرآن الكريم وعلومه، السّعودية، 1442هـ – 2020م.

تناول البحث التَّقدم والتَّأخر في اللغة العربية والقرآن الكريم، ومناسبة الآية لما قبلها، ونزولها، وإعرابها، وسبب نزولها، موضحة أقوال المفسرين فيها، والتَّرجيح بينها، والوقوف على أبرز اللطائف المستنبطة من الآية.

أوصت الباحثة في نهاية بحثها بدراسة التَّقدم والتَّأخر في القرآن الكريم كاملًا، مؤكدة بشكل صريح إلى عدم وجود دراسة علمية خاصة مستقلة تتحدث عن الموضوع.

ومما جعل دراستي متميزة عما سبق أنها تناولت دراسة آيات التَّقدم والتَّأخر في القرآن كاملًا وفق منهجية التَّفسير الموضوعي بصورة علمية، وليس في آية واحدة فقط كما فعلت الباحثة المذكورة أعلاه – جزاها الله خير الجزاء على جهودها–.

خطة البحث

جاء هذا البحث في مقدمة، وخمسة فصول، وخاتمة، وهي على النّحو الآتي:

المقدمة: وفيها استعراض أدبيات البحث.

الفصل الأول: مفهوم التّقدم والتّأخر ودلالتهما في السّياق القرآني.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التَّقدم والتَّأخر لغةً واصطلاحًا.

المبحث الثَّاني: مواضع آيات التّقدم والتّأخر في القرآن الكريم.

المبحث الثَّالث: الألفاظ ذات الصّلة بالتَّقدم والتَّأخر في القرآن الكريم.

<u>الفصل الثَّاني: مجالات التَّقدم في القرآن الكريم.</u>

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التَّقدم الزَّمني في القرآن الكريم.

المبحث الثَّاني: التَّقدم في المنزلة والشَّرف في القرآن الكريم.

المبحث الثَّالث: التَّقدم في الخير والشَّر في القرآن الكريم.

<u>الفصل الثّالث: صفات المتقدمين في القرآن الكريم.</u>

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أفضل صفات المتقدمين.

المبحث الثَّاني: أقبح صفات المتقدمين.

المبحث الثَّالث: المتقدمون وجزاء أعمالهم في الدُّنيا والآخرة.

<u>الفصل الرّابع: مجالات التَّأخر في القرآن الكريم.</u>

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التَّأخر الزَّمني في القرآن الكريم.

المبحث الثَّاني: التَّأخر في المنزلة والشَّرف في القرآن الكريم.

المبحث الثَّالث: التَّأخر في الخير والشَّر في القرآن الكريم.

<u>الفصل الخامس: صفات المتأخرين في القرآن الكريم.</u>

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أفضل صفات المتأخرين.

المبحث الثَّاني: أقبح صفات المتأخرين.

المبحث الثَّالث: المتأخرون وجزاء أعمالهم في الدُّنيا والآخرة.

الخاتمة: وفيها أهم النَّتائج والتَّوصيات.

الفصل الأول: مفهوم التّقدم والتّأخر ودلالتهما في السّياق القرآني.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التَّقدم والتَّأخر لغةً واصطلاحًا.

المبحث الثَّاني: مواضع آيات التّقدم والتّأخر في القرآن الكريم.

المبحث الثَّالث: الألفاظ ذات الصّلة بالتَّقدم والتَّأخر في القرآن الكريم.

توطئة

إن التفسير الموضوعي شكل من أشكال التفسير الذي رسخت أصوله ومناهجه، فأقُرَ تدريسه في الجامعات، وتناولته الدّراسات العلمية بالبحث والتّأليف، ونال اهتمام الباحثين من طلبة العلم الشّرعي، فكانت هذه الدّراسة نموذجًا عمليًا للتفسير الموضوعي، حيث تناولتُ فيها موضوع (التّقدم والتّأخر في القرآن) بتعريف المقصود بهذين المصطلحين، وذكر مواضع الآيات التي ورد فيها ذكرهما، إضافة إلى عدد من الألفاظ ذات الصّلة بالموضوع.

المبحث الأول: تعريف التَّقدم والتَّأخر في اللغة.

إن لفظ التّقدم والتّأخر من الألفاظ اللغوية، التي لا تحمل ألفاظها دلالة مصطلحات شرعية، فكان هذا مدعاة للاكتفاء بالتّعريف اللغوي.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التّقدم والتّأخر لغة.

أولًا: تعريف التَّقدم لغة.

التّقدم (قَدّم): حروف القاف والدَّال والميم هي أصلٌ صحيح يدّل على السَّبق[1]، **والقُدُم:** ضد الأُخُر[2]، **والقِدم:** هو خلاف الحدوث[3]، **والقَدم:** هي ما يطأ عليه الإنسان من لَدُن الرّسغ فما فوقه[4]، وسميت بذلك؛ لأنها آلة تستخدم للتَّقدم والسَّبق[5]، **وقدَّم واستقدم** أي: تَقدم في الأمر[6]، **والقُدُم:** المِضي نحو الأمام[7]، **والإقدام:** هو عكس الإحجام[8].

---

(1) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرّازي، ت:395هـ، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السّلام محمد هارون، مادة قدم، ج5/ص65، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، لبنان – بيروت، دط، 1399هـ – 1979م.

(2) الفراهيدي، أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، ت:170هـ، **كتاب العين مرتبًا على حروف المعجم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مادة قدم، ج5/ص123، دار الكتب العلمية للنشر والتّوزيع، لبنان – بيروت، ط1، 1424هـ – 2003م.

(3) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، ت:393هـ، **الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مادة قدم، ج5/ص2007، دار العلم للملايين للنشر والتّوزيع، لبنان – بيروت، ط4، 1407هـ

(4) الفراهيدي، **كتاب العين مرتبًا على حروف المعجم**، مادة قدم، ج5/ص122.

(5) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، مادة قدم، ج5/ص66.

(6) ابن سِيدَه، أبو الحسن علي بن إسماعيل، ت:458هـ، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مادة قدم، ج6/ص323، دار الكتب العلمية للنشر والتّوزيع، لبنان – بيروت، ط1، 1421هـ – 2000م.

(7) الفراهيدي، **كتاب العين مرتبًا على حروف المعجم**، مادة قدم، ج5/ص122.

(8) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد بن الهروي، ت:370هـ، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، مادة قدم، ج9/ص59، دار إحياء التّراث العربي للنشر والتّوزيع، لبنان – بيروت، ط1، 1422هـ – 2001م.

وقَدِم إلى الأمر: أي: قصده وجاءه وأتاه وعمدَ إليه، **وقدَّم**: أي: عمل عملًا فيما مضى من خيرٍ كان أو شر[1]، كقوله تعالى: ﴿ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ۝٥ ﴾ [الإنفطار: ٥].

ومن أسماء الله تعالى تبارك وتعالى، المُقَدّم: وهو الذي يقدم بحكمة ما يجب تقديمه من شيء حكمًا وفعلًا[2].

ويأتي التّقدم على عدة صور، من أبرزها ما يأتي:

1- "الحديث والقديم بالنّظر إلى الزّمن، وإما بالنّظر إلى الشّرف، مثل قولنا: فلان متقدم على فلان أي: من ناحية الشّرف والمكانة والدرّجة والسّمو والعلوم والرّفعة.
2- التّقدم بمعنى ما لا يصح وجود غيره إلا بوجوده، مثل قولنا: الواحد متقدم على العدد بمعنى أنه لو توهم ارتفاعه لارتفعت الأعداد.
3- القِدم يأتي بمعنى الوجود والسّبق فيما مضى، والبقاء بمعنى الوجود فيما يُستقبل من الوقت[3]".

ثانيًا: تعريف التَّأخر لغة.

التّأخر: أصلها (**أَخّر**): ومقابلها قدّم، ومنها **تأخر واستأخر**، ويأتي معناها ضد: تَقَدّم[4]، **والتّأخير**: هو نقيض التّقديم[5]، **والآخِر**: يأتي مقابلًا للأول[1]، **وتأخر عنه وعليه**: أي: جاء بعده في الزَّمان أو المكان[2]،

---

(1) الجمل، حسن عز الدّين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد، مخطوطة الجمل - **معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن الكريم**،ج3/ص325، الهيئة المصرية العامة للكتاب والنّشر والتّوزيع، مصر - القاهرة، ط1، 1424هـ - 2003م.

(2) الزّجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السّري بن سهل، ت:311هـ، **تفسير أسماء الله الحسنى**، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، ص59، دار المأمون للتّراث والنّشر والتّوزيع، سوريا - دمشق، ط2، 1395هـ - 1979م.

(3) الرّاغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، ت:502هـ، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الدّاودي، ص660 - ص661، دار القلم، الدّار الشّامية، دمشق - بيروت، ط1، 1412هـ - 1991م.

(4) الجمل، **مخطوطة الجمل - معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن الكريم**، ج1/ص67.

(5) الحميري، نشوان بن سعيد اليمني، ت:537هـ، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، تحقيق: د. حسين عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د. يوسف محمد عبد الله، ج1/ص205، دار الفكر المعاصر للنشر والتّوزيع، لبنان - بيروت، سوريا - دمشق، ط1، 1420هـ - 1999م.

والآخِر والمؤخرّ، هما من الأسماء الحسنى لله تبارك وتعالى[3]، والمقصود **بالآخِر**: أي: صاحب البقاء الدّائم بعد فناء الخلق جميعًا صامتهم وناطقهم[4]، **والمُؤخِر**: أي صاحب الأمر في تأخير ما يجب تأخيره لحكمة ورحمة هو يريدها، بعلمه وقدرته سبحانه وتعالى[5].

والتّأخير مقابل التّقديم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا **قَدَّمَ وَأَخَّرَ** ١٣ ﴾ [القيامة: ١٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ **مَا تَقَدَّمَ** مِن ذَنۢبِكَ **وَمَا تَأَخَّرَ** وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ٢ ﴾. [الفتح: ٢].

والبيع بأخِرة أي: البيع بتأخير الأجل عند عجز السّداد دون زيادة في الثّمن إحسانًا وابتغاء مرضاة الله تعالى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ **فَنَظِرَةٌ** إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ... ٢٨٠ ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

والقول: أبعد الله الآخِرَ، أي: دعاء على المتأخر عن التزام الفضيلة واتباع الحق(19)[6].

ويأتي التّأخير بمعنى التّأجيل والإرجاء، وعكسه التّقديم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ..إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ .. ٤ ﴾ [نوح: ٤].

وبمعنى الإمهال والإبطاء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ .. لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ .. ٧٧ ﴾ [النساء: ٧٧].

---

[1] إبراهيم أنيس – عبد الحليم منتصر – عطية الصوالحي – محمد خلف الله أحمد، **المعجم الوسيط**، ج1/ص8، مجمع اللغة العربية، مصر – القاهرة، ط4، 1424هـ – 2004م.

[2] عمر أحمد مختار عبد الحميد، ت:1424هـ، وآخرون، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج1/ص70، عالم الكتب للنّشر والتّوزيع، مصر – القاهرة، ط1، 1429هـ – 2008م.

[3] ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، ت:711هـ، **لسان العرب**، مادة أخر، ج4/ص12، دار صادر للنّشر والتّوزيع، لبنان – بيروت، ط3، 1414هـ – 1993م.

[4] عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج1/ص70.

[5] ابن الأثير، مجد الدّين أبو السّعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشّيباني الجزري، ت:606هـ، **النّهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزّاوي – محمود محمد الطّناحي، ج1/ص29، المكتبة العلمية للنشر والتّوزيع، لبنان – بيروت، دط، 1399هـ – 1979م..

[6] الرّاغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص69.

وبمعنى التّواني، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ... فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ ... ﴿٢٠٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٣]

وعكس أوّل في الرُّتبة أو الزّمن[1]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٤]

فالتَّقدم لفظ يدل على السَّبق والمضي أمامًا، ويدل على المبادرة والإسراع، وعكسه التَّأخر يدل على التَّواني والإبطاء والفتور والرَّجوع للوراء[2].

---

[1] عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج1/ص70.

[2] حمدان، عائشة، **التّقدم والتّأخر في ضوء قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الحجر: ٢٤]، مجلة تبيان، العدد 38، ص213، الجمعية العلمية السّعودية للقرآن الكريم وعلومه، السّعودية، 1442هـ - 2020م.

المبحث الثَّاني: مواضع آيات التّقدم والتَّأخر في القرآن الكريم.

جاءت ألفاظ التَّقدم والتَّأخر في القرآن الكريم على صيغ متعددة وصورة متنوعة وهي كالآتي:

1- **قدّم واشتقاقاته**، مثل: تقدم، يتقدم، تستقدمون، يستقدمون، الأقدمون، يَقْدُمُ، قدمتْ، قدمتُ، القديم، قَدَمَ، تُقدِموا، أقدامنا، الأقدام، قدمتم، قدِمنا، المستقدمين، قدَموا، قدمتموه، أقدامكم، لا تُقدموا، وجاء عدد مرات ذكرها في القرآن الكريم في **ثمان وأربعين موضعًا**.

2- **أخّر واشتقاقاته**، مثل: أخرَت، أخرتنا، أخرتني، أخرنا، نؤخره، يُؤخر، ويؤخركم، يؤخرهم، تستأخرون، تأخر، أُخراهم، الآخر، الآخرين، آخِره، الآخرة، وجاء عدد مرات ذكرها في القرآن في **مئتين وخمسين موضعًا**[1].

تعددت اشتقاقات التّقدم والتَّأخر في كتاب الله تبارك وتعالى، لكن روعي في البحث السّياق الوارد في الآيات، وما يفيده كل اشتقاق من معنى، فاستُثْنِيَتْ بعض الاشتقاقات التي لا تخدم غرض الرّسالة وموضوعها، مع ذكر مواضعها ضمن جدول الاشتقاقات.

المطلب الأول: مواضع آيات التّقدم في القرآن الكريم.

جدول مشتقات لفظ التّقدم الواردة في القرآن الكريم بذكر عدد مرات كلٍ منها ومكان ذكرها في السّورة والآية:

الرقم	اللفظ	عدد المرات	السورة	الآية
1	قَدِمْنَا	1	الفرقان	23
2	يَقْدُمُ	1	هود	98
3	قَدَمَ	2	ص القيامة	61 13
4	قَدَّمَتْ	14	البقرة	95

[1] عبد الباقي، محمد فؤاد، ت: 1388هـ، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص20 – ص23، ص538 – 539، دار الحديث، مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة، دط، 1346هـ – 1944م.

			آل عمران النساء المائدة الأنفال الكهف الحج القصص الروم الشورى الحشر الجمعة النبأ الانفطار	182 62 80 51 57 10 47 36 48 18 7 40 5
5	قَدَّمْتُ	2	ق الفجر	28 24
6	قَدَّمْتُمْ	1	يوسف	48
7	قَدَّمْتُمُوهُ	1	ص	60
8	قَدَّمُوا	1	يس	12
9	تُقَدِّمُوا	4	البقرة الحجرات المجادلة المزمل	110 1 13 20
10	قَدِّمُوا	2	البقرة المجادلة	223 12
11	تَقَدَّمَ	1	الفتح	2
12	يَتَقَدَّمَ	1	المدثر	37
13	تَسْتَقْدِمُونَ	1	سبأ	30
14	يَسْتَقْدِمُونَ	3	الأعراف	34

			يونس النحل	49 61
15	قَدَمَ	2	يونس النحل	2 94
16	الْأَقْدَامَ	2	الأنفال الرحمن	11 41
17	أَقْدَامَكُمْ	1	محمد	7
18	أَقْدَامَنَا	3	البقرة آل عمران فصلت	250 147 29
19	الْقَدِيمِ	3	يوسف يس الأحقاف	95 39 11
20	الْأَقْدَمُونَ	1	الشعراء	76
21	الْمُسْتَقْدِمِينَ	1	الحجر	24

المطلب الثّاني: مواضع آيات التّأخر في القرآن الكريم.

جدول مشتقات لفظ التّأخر الواردة في القرآن الكريم بذكر عدد مرات كل منها ومكان ذكرها في السّورة والآية:

الرقم	اللفظ	عدد المرات	السورة	الآية
1	أَخَّرَ	1	القيامة	13
2	أَخَّرَتْ	1	الانفطار	5
3	أخرتنا	1	النساء	77
4	أخرتن	1	الإسراء	62
5	أخرتني	1	المنافقون	10

6	أخرنا	1	هود	8
7	نؤخره	1	هود	104
8	يُؤَخَّر	1	المنافقون	11
9	يُؤَخِّرَكُمْ	2	إبراهيم نوح	10 4
10	يُؤَخِّرُهُمْ	3	إبراهيم النحل فاطر	42 61 45
11	أَخَّرْنَا	1	إبراهيم	44
12	يُؤَخَّرُ	1	نوح	4
13	تَأَخَّرَ	2	البقرة الفتح	203 2
14	يَتَأَخَّر	1	المدثر	37
15	تَسْتَأْخِرُونَ	1	سبأ	30
16	يَسْتَأْخِرُونَ	5	الأعراف يونس الحجر النحل المؤمنون	34 49 5 61 43
17	الْمُسْتَأْخِرِينَ	1	الحجر	24
18	آخَرَ	15	المائدة التوبة يوسف الحجر الإسراء المؤمنون الفرقان	27 102 41 – 36 96 39 – 22 117 – 14 68

			الشعراء	213
			القصص	88
			ص	58
			ق	26
			الذاريات	51
19	آخَرَانِ	2	المائدة	107 – 106
20	آخَرُونَ	5	التوبة	106 – 102
			الفرقان	4
			المزمل	20 (مرتان)
21	آخَرِينَ	17	النساء	133 – 91
			المائدة	41
			الأنعام	133 – 6
			الأنفال	60
			الأنبياء	11
			المؤمنون	42 – 31
			الشعراء	172 –66 –64
			الصافات	136 – 82
			ص	38
			الدخان	28
			الجمعة	3
22	أُخْرَى	23	البقرة	282
			آل عمران	13
			النساء	102
			الأنعام	164 – 19
			الإسراء	69 – 15
			طه	55 – 37 – 22 – 18
			فاطر	18

			الزمر	68 – 42 – 7
			الفتح	21
			الحجرات	9
			النجم	47 – 38 – 20 – 13
			الصف	13
			الطلاق	6
23	أُخْرَاكُمْ	1	آل عمران	153
24	أُخْرَاهُمْ	2	الأعراف	39 – 38
25	أُخَرَ	5	البقرة	185 – 184
			آل عمران	7
			يوسف	46 – 43
26	آخِر	28	البقرة	232 – 228 – 177 – 126 – 62 – 8 264 –
			آل عمران	114
			النساء	162 – 136 – 59 – 39 – 38
			المائدة	69
			التوبة	99 – 45 – 44 – 29 – 19 – 18
			يونس	10
			النور	2
			العنكبوت	36
			الأحزاب	21
			الحديد	3
			المجادلة	22
			الممتحنة	6
			الطلاق	2
27	آخِرنا	1	المائدة	114
28	آخِرَهُ	1	آل عمران	72

29	الْآخِرِينَ	10	الشعراء	84
			الصافات	129 – 119 – 108– 78
			الزخرف	56
			الواقعة	49 – 40 – 14
			المرسلات	17
30	الآخرة	115	البقرة	4 – 86 –94 – 102 – 114 – 130 – 200 – 201 – 217 – 220
			آل عمران	22 – 45 – 56–77 – 85 – 145 – 148 –152 – 176
			النساء	74 – 77 – 134
			المائدة	5 – 33 – 41
			الأنعام	32 – 92 – 113 – 150
			الأعراف	45 – 147 – 156 –169
			الأنفال	67
			التوبة	38 (مرتان) – 69 – 74
			يونس	64
			هود	16 – 19 – 22 – 103
			يوسف	37– 57 – 101 – 109
			الرعد	26 – 34
			إبراهيم	3 – 27
			النحل	22– 30 – 41 – 60 – 107 – 109 – 122
			الإسراء	7 – 10 – 19 – 21 – 45 – 72 – 104
			طه	127
			الحج	11 – 15
			المؤمنون	33 – 74
			النور	14 – 19 – 23

66 – 5	النمل			
83 – 77 – 70	القصص			
64 – 27 – 20	العنكبوت			
16 – 7	الروم			
4	لقمان			
57 – 29	الأحزاب			
21 – 8 – 1	سبأ			
7	ص			
45 – 26 – 9	الزمر			
43 – 39	غافر			
31 – 16 – 7	فصلت			
20 (مرتان)	الشورى			
35	الزخرف			
27 – 25	النجم			
20	الحديد			
3	الحشر			
13	الممتحنة			
33	القلم			
53	المدثر			
21	القيامة			
25	النازعات			
17	الأعلى			
13	الليل			
4	الضحى			

فوائد مستفادة من إحصائية آيات التّأخر في القرآن الكريم:

أولا: السّور التي وردت فيها مشتقات التّأخر في القرآن الكريم (دون تكرار):

الرقم	اسم السّورة	عدد مرات الذّكر في كل سورة
1	الانفطار	1
2	الإسراء	4
3	الأحزاب	2
4	الأعراف	3
5	الأعلى	1
6	الأنبياء	1
7	الأنعام	3
8	الأنفال	2
9	البقرة	5
10	التوبة	4
11	الجمعة	1
12	الحج	1
13	الحجر	3
14	الحجرات	1
15	الحديد	2
16	الحشر	1
17	الدخان	1
18	الذاريات	1
19	الرعد	1
20	الروم	1
21	الزخرف	2

22	الزمر	2
23	الشعراء	3
24	الشورى	1
25	الصافات	2
26	الصف	1
27	الضّحى	1
28	الطلاق	2
29	العنكبوت	2
30	الفتح	2
31	الفرقان	2
32	القصص	2
33	القلم	1
34	القيامة	2
35	الليل	1
36	المائدة	6
37	المجادلة	1
38	المدثر	2
39	المرسلات	1
40	المزمل	1
41	الممتحنة	2
42	المنافقون	2
43	المؤمنون	4
44	النازعات	1
45	النجم	2
46	النحل	3
47	النساء	5

48	النمل	1
49	النور	2
50	الواقعة	1
51	إبراهيم	4
52	آل عمران	6
53	سبأ	2
54	ص	3
55	طه	2
56	غافر	1
57	فاطر	2
58	فصلت	1
59	ق	1
60	لقمان	1
61	نوح	2
62	هود	3
63	يوسف	3
64	يونس	3

مجموع السّور = 64 سورة.

أكثر السّور ذكرًا لألفاظ التّأخر = آل عمران (6 مرات) – المائدة (6 مرات)

ثانيا: السّور المشتركة الوارد فيها ذكر ألفاظ التّقدم والتأخر في القرآن الكريم:

الرقم	اسم السَورة

1	الانفطار
2	الأعراف
3	الأنفال
4	البقرة
5	الجمعة
6	الحج
7	الحجر
8	الحجرات
9	الحشر
10	الروم
11	الشعراء
12	الشورى
13	الفتح
14	الفرقان
15	القصص
16	القيامة
17	المائدة
18	المجادلة
19	المدثر
20	المزمل
21	النحل
22	النساء
23	آل عمران
24	سبأ
25	ص
26	فصلت

27	ق
28	هود
29	يس
30	يوسف
31	يونس

المجموع = 31 سورة.

ثالثا: تصنيف صيغ التّقدم الواردة في القرآن الكريم بحسب اللغة العربية.

الرقم	اللفظ	فعل ماضٍ	فعل مضارعٍ	فعل أمر.	اسم	الوزن الصرفي
1	قَدِمْنَا	✓				فَعِلْنَا
2	يَقْدُمُ		✓			يَفْعُلُ
3	قَدَمَ	✓				فَعَلَ
4	قَدَّمَتْ	✓				فَعّلَتْ
5	قَدَّمْتُ	✓				فعّلتُ
6	قَدَّمْتُمْ	✓				فعّلتم
7	قَدَّمْتُمُوهُ	✓				فعّلتموه
8	قَدَّمُوا	✓				فَعَّلوا
9	تُقَدِّمُوا		✓			تُفعّلوا
10	قَدِّمُوا			✓		فَعِّلوا
11	تَقَدَّمَ	✓				تفعّل
12	يَتَقَدَّمَ		✓			يتفعّل
13	تَسْتَقْدِمُونَ		✓			تستفعلون
14	يَسْتَقْدِمُونَ		✓			يستفعلون

15	قَدَمَ				✓	فَعَلَ
16	الْأَقْدَامَ				✓	الأفعال
17	أَقْدَامَكُمْ				✓	أفعالكم
18	أَقْدَامَنَا				✓	أفعالنا
19	الْقَدِيمِ				✓	الفعيل
20	الْأَقْدَمُونَ				✓	الأفعلون
21	الْمُسْتَقْدِمِينَ				✓	المستفعلين

رابعا: تصنيف صيغ التّأخر الواردة في القرآن الكريم بحسب اللغة العربية.

الرقم	اللفظ	فعل ماضٍ	فعل مضارعٍ	فعل أمر.	اسم	الوزن الصّرفي
1	أَخَّرَ	✓				فَعّلَ
2	أَخَّرَتْ	✓				أَفعّلَت
3	أخرتنا	✓				أفعلتنا
4	أخرتن	✓				أفعلتن
5	أخرتني	✓				أفعلتني
6	أخرنا	✓				أفعلنا
7	نؤخره		✓			نفعّله
8	يُؤَخَّر		✓			يُفَعّلُ
9	يُؤَخِّرَكُمْ		✓			يُفعّلكم
10	يُؤَخِّرُهُمْ		✓			يُفعّلهم
11	أَخَّرْنَا	✓				أَفعلنا
12	يُؤَخَّرُ		✓			يُفعّلُ
13	تَأَخَّرَ	✓				تَفعّل
14	يَتَأَخَّر		✓			يتفعّل
15	تَسْتَأْخِرُونَ		✓			تستفعِلون

16	يَسْتَأْخِرُونَ		✓			يستفعِلون
17	الْمُسْتَأْخِرِينَ				✓	المستفعلين
18	آخَرَ				✓	أفعَلَ
19	آخَرَانِ				✓	أفعلان
20	آخَرُونَ				✓	أفعلون
21	آخَرِينَ				✓	أفعلين
22	أُخْرَى				✓	فُعلى
23	أُخْرَاكُمْ				✓	فُعلاكم
24	أُخْرَاهُمْ				✓	فُعلاهم
25	أُخَرَ				✓	فُعَلَ
26	آخِرِ				✓	أفعِل
27	آخِرنا				✓	أفعلنا
28	آخِرَهُ				✓	أفعَله
29	الْآخِرِينَ				✓	الأفعلين
30	الآخرة				✓	فاعلة

خامسا: المواضع التي اقترنت فيها كلٌّ من صيغ التّقدم والتّاخر في القرآن الكريم:

1- قَالَ تَعَالَى:﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ ﴾ [القيامة: ١٣].

2- قَالَ تَعَالَى:﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ ﴾ [الانفطار: ٥].

3- قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٤].

4- قَالَ تَعَالَى:﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[يونس: ٤٩].

5- قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[النحل: ٦١].

6- قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٠ ﴾ [سبأ: ٣٠].

7- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ٢٤ ﴾ [الحجر: ٢٤].

8- قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢ ﴾ [الفتح: ٢].

9- قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ٣٧ ﴾ [المدثر: ٣٧].

المجموع = 9 آيات.

المبحث الثَّالث: الألفاظ ذات الصّلة بالتَّقدم والتَّأخر في القرآن الكريم.

هناك عدة ألفاظ جاءت في القرآن الكريم، تحمل معنى التَّقدم والتَّأخر، ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما يأتي:

المطلب الأول: ألفاظ تحمل معنى التَّقدم.

1- **السّبق**: التّقدم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ﴿٤﴾ ﴾ [النازعات: ٤] ويأتي على خمسة أوجه هي كالآتي مع مثالٍ على كل وجه، **السّبق بالعليّة**، كسبق حركة الإصبع على حركة الخاتم، **والسّبق بالطّبع**، كسبق الواحد على الاثنين، **والسّبق بالزّمن** كسبق الأب على الابن، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ﴿١٢٩﴾ ﴾[طه: ١٢٩]، **والسّبق بالرّتبة:** كسبق الإمام على المأموم، **والسّبق بالشّرف:** كسبق العالِم على المتعلم قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الواقعة: ١٠][1].

2- **السّلف:** ومن أبرز معانيه، هو كل عمل صالح قدمه الإنسان خلال حياته، ويطلق على كل من تقدم، من الآباء والأقارب مصطلح السّلف، وكذلك يطلق على كل من يُقلد ويُقتفى أثره في الدّين كالإمام أبي حنيفة النّعمان وأصحابه، فهم سلف لنا، والصّحابة الكرام رضي الله عنهم سلف لهم.

ومن معاني السّلف: المتقدّم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ **سَلَفٗا** وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الزخرف: ٥٦] أي: معتبرًا متقدّمًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ... فَلَهُۥ مَا **سَلَفَ**...﴿٢٧٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٥] قَالَ تَعَالَى: ﴿ .... وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ **سَلَفَ**ۗ ... ﴿٢٣﴾ ﴾ [النساء: ٢٣]

والمعنى: أن الله تبارك وتعالى يعفو ويسامح ويصفح ويتجاوز ويغفر للإنسان ما تقدّم من الذَّنب قولًا وفعلًا، فكان الاستثناء خاصًا بالتّجاوز عن الإثم، لا دليلًا على جواز الفعل[2].

3- **الابتداء:** وهو ضرب من ضروب تقديم الشيء على غيره[4]، ومن ذلك: قَالَ تَعَالَى: ﴿ ... **وَبَدَأَ** خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة: ٧]

---

[1] الأصفهاني، **المفردات**، ص508.

[2] المصدر نفسه، ص420.

4- **قَبْلُ:** وهو لفظ يستخدم في بيان التّقدّم المتّصل والمنفصل، ويقابله لفظ **(بَعد)**، ومن وجوه استعمال هذا اللفظ **(قَبْلُ)** ما يأتي:

أ- **الزّمان:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ...قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ **مِن قَبْلُ** ..﴿٩١﴾ ﴾ [البقرة: ٩١]

ب- **التّرتيب الصّناعيّ:** ومن ذلك تعلّم الهجاء قبل تعلّم الخطّ(5)، ومن ذلك جاء في القرآن الكريم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ... وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ **قَبْلَ** طُلُوعِ الشَّمْسِ **وَقَبْلَ** غُرُوبِهَا ...﴾ [طه: ١٣٠]قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ... **قَبْلَ** أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ...﴿٣٩﴾ ﴾ [النمل: ٣٩]

5- **العَتِيقُ:** أي: المتقدّم في الرّتبة، أو المكان، أو الزّمان، فيطلق على القديم والكريم ومن نجى من الرّق لفظ: العتيق[1]، ومن القرآن الكريم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ... وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ **الْعَتِيقِ** ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحج: ٢٩]

والمقصود الكعبة المشرفة ذات المكانة المرموقة والمنزلة السّامية والدرجة العالية والمقام الرّفيع.

المطلب الثّاني: ألفاظ تحمل معنى التّأخر.

1- **البُطْءُ:** والمعنى: تأخر الانطلاق عند السّير، ويقال: فلان يكثُر التّثبط في نفسه، أي: أنّ منكم من يؤهر غيره ويتأخر[2]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن **لَّيُبَطِّئَنَّ** ... ﴿٧٢﴾ ﴾ [النساء: ٧٢]

2- **الخلف:** يقال: تَخَلَّفَ فلان فلانًا: إذا تأخّر عنه، وإذا جاء خلف آخر، وإذا قام مقامه فكان بالنّيابة عنه[3]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ **خَلْفٌ** ...﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم: ٥٩]

3- **العَجْزُ:** والمقصود به التّأخرُ عن الشّيء، ويقال عَجُز الإنسان وعَجُز عن حصول الأمرِ، أي: مؤخره[4]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ **أَعْجَازُ** نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [القمر: ٢٠]

4- **النَّسْءُ:** التّأخير في الوقتِ، ومنه: **نُسِئَتْ المرأةُ:** إذا تأخَّرَ موعد عذرها الشّهري (الحيض)، فكان في هذا التّأخر علامة رجاء حملها، **والنَّسِيئَةُ:** شكل من أشكال الرّبا، وصورة من الصّور المحرمة للبيع بالتّأخير، وكانت العرب تفعله، ومن ذلك أيضًا تأخير وتبديل بعض الأشهر

---

[1] **المصدر نفسه**، ص545 (بتصرف).

[2] الأصفهاني، **المفردات**، ص131 – 132.

[3] **المصدر نفسه**، ص293.

[4] **المصدر نفسه**، ص548.

الحُرُم من وقتها إلى وقت آخَرَ[1]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلۡكُفۡرِۖ . ﴿٣٧﴾﴾ [التوبة: ٣٧]

ويشار إلى ضرورة اجتناب المحرمات التي تؤخر الإنسان عن عمل الخير، وتؤخر منزلته وتخفض مكانته وتنزل من درجاته عند الله تعالى، وضرورة الابتعاد عن كل ما من شأنه إرجاؤه عن الطّاعة والتّأخر في فعلها.

---

(1) **المصدر نفسه**، ص804.

الفصل الثَّاني: مجالات التَّقدم في القرآن الكريم.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التَّقدم الزَّمني في القرآن الكريم.
المبحث الثَّاني: التَّقدم في المنزلة والشَّرف في القرآن الكريم.
المبحث الثَّالث: التَّقدم في الخير والشَّر في القرآن الكريم.

توطئة.

يستعرض هذا الفصل مجالات التّقدم في القرآن الكريم، فيتحدث عن التّقدم الزّمني ويتطرق إلى نماذج من ذلك، كما يوضح التّقدم في المنزلة والشّرف في القرآن الكريم، وصورًا من التّقدم في الخير والشّر.

المبحث الأول: التَّقدم الزَّمني في القرآن الكريم.

لقد اعتنى القرآن الكريم بالزّمن بصورة واضحة، فذكر العديد من المصطلحيات الزمّنية ذات الدّلالات المتنوعة، وهذا من شأنه بيان مدى أهمية الوقت في حياة الإنسان والأمم والشّعوب والحضارات، ومن ذلك أسماء الزّمن الممتد كأحقابًا، والمحدود كساعة، وأسماء السّنة وفصولها كالشّتاء والصّيف، وبعض أيام الأسبوع كالجمعة والسّبت، وغيرها(1).

فالتّقدم الزّمني هو ما وقع مِنَ الإنسان مِنْ أقوال وأفعال، وما ارتبط بهذا الزّمن من أحداث، وما ترتب عليه من نتائج في الدّنيا والآخرة كما دونته آيات القرآن الكريم، حيث جاء التَّقدم الزَّمني في كتاب الله، على عدة صور مرتبة على شكل مسائل كالآتي:

المسألة الأولى: حزن يعقوب القديم على يوسف.

لم يكن فراق سيدنا يعقوب عليه السّلام لابنه يوسف بالأمر السّهل؛ فقد استمر حزنه عليه سنوات طويلة، حتى فقد بصره من كثرة البكاء، وعاتبه أهله على ذلك متهمين تفاؤله بعودة يوسف بالضّلال والسّراب.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ٩٥ ﴾ [يوسف: ٩٥]

أعلم سيدنا يعقوب عليه السّلام بعضًا من أهله فقال لهم: ﴿ ... إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ ...٩٤ ﴾ [يوسف: ٩٤]

فكان ردهم عليه أن هذا الأمر عبارة عن أوهام تتوهمها، ناتجة عن عظيم حبك ليوسف، فحالك دائم الذّكر له، لا تنساه ولا تتوقف عن الحديث عنه(2)، وفي أفعالك هذه ابتعاد منك عن جادة الحق، وطريق الصّواب، والسّبب في إصرارك على ما أنت فيه رجاؤك الذي لا يتوقف، وأملك الذي لا ينقطع في أن تلقى

---

(1) عوض، محمد يوسف عبد القادر، **أسماء الزّمن في القرآن الكريم (دراسة دلالية)**، ص36، رسالة ماجستير في اللغة العربية بكليات الدّراسات العليا، في جامعة النّجاح الوطنية – نابلس – فلسطين، 1430هـ – 2009م.

(2) الطّبري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، ت:310هـ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: محمود محمد شاكر، وخرج أحاديثه: أحمد محمد شاكر، ج256/16، دار مؤسسة الرّسالة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، لبنان – بيروت، ط1، 1420هـ – 2000م.

يوسف، على الرّغم من مضي وقتٍ طويلٍ على فراقكما[1]، وجهلهم ببقاء يوسف على قيد الحياة ليس مسوّغًا لما صدر عنهم؛ ففي ردهم هذا قسوة وعقوق وعدم احترام لفطرة الأبوة لديه[2]، ولقد وصفوا شغف يعقوب بلقاء يوسف أنه بالقديم لطول مدته، والضّلال هنا لا يقصد به ما هو ضد الرّشاد، إنما هو وصف للحيرة والرّجاء والأمل بعودة يوسف، وأنه لا جدوى ولا فائدة من ذلك، بعدما انعدمت السّبل وانقطعت أسباب الأرض، ويذكر أن فترة انقطاع يوسف عن أبيه عليهما السّلام وصلت إلى اثنين وعشرين سنة[3].

في ضوء ما تقدم يظهر أن المؤمن الحق الصّادق لا يقنط ولا ييأس من رحمة الله تبارك وتعالى، ولا يفزع ولا يجزع مما يحصل معه، بل يكون دومًا محسنًا الظّن بالله عز وجل، يعلم أن له في السّراء رحمة، وفي الضّراء حكمة، ويتخذ مخافة الله ومحبته السّبيل الأمثل والأفضل نحو الوصول إلى أعلى درجات الرّفعة والرّقي والتّميز في الدّنيا والآخرة، والصّبر هو مفتاح الفرج والفرح، وكل وقت مُر مصيره أن يَمُر، ومن يقللون من قدراتك، ويحاولون إحباطك، لا تُعرهم اهتمامًا، ولا تعطهم قيمة، واصل السّير والصّعود متوكلًا على الله تعالى، وعند وصولك إلى مبتغاك لا تتذكر إساءتهم لك، بل سامحهم واعتبرهم أنهم كانوا بمثابة الوقود الذي يدفعك للوصول نحو ما تريد، فهكذا فعل قدوتك سيدنا يعقوب عليه السّلام مع أبنائه.

المسألة الثّانية: وصف القمر بالقديم.

إن القمر آية من آيات الله تبارك وتعالى، خلقه فجعله علامة لبداية الشّهر وانتهائه، ورمزًا لكثير من شعائر الدّين الإسلامي كدخول رمضان والعيد وبداية شهر ذي الحجة، وقد اعتمده العرب منذ قديم الزّمان قبل قدوم الإسلام.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [يس: ٣٩]

---

(1) القِنّوجي، أبو الطّيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري، ت:1307هـ، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، ج6/ص399، المكتبة العصريّة، لبنان – صَيدا – بيروت، دط، 1412هـ – 1992م.

(2) القرطبي، أبو عبد الله شمس الدّين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، ت: 671هـ، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني – إبراهيم أطفيش، ج9/ص261، دار الكتب المصرية للطباعة والنّشر والتّوزيع، مصر – القاهرة، ط2، 1384هـ – 1964م.

(3) ابن عاشور، محمد الطّاهر بن محمد بن محمد الطّاهر، ت: 1393هـ، "**تحرير المعنى السّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**"، ج13/ص53، الدّار التّونسيّة للطباعة والنّشر والتّوزيع، تونس، دط، 1404هـ – 1984م.

يصف الله تبارك وتعالى الدّورة الزّمنية لحياة القمر بأنها تشبه العرجون، وهو عود الشُّمراخ إذا يبس واعوج، و﴿ٱلۡقَدِيمِ﴾ هو ما دار عليه حول من الزّمان، فإذا قدم عَتق ويبس وتقوس واصفر، فإذا مضت من حياة القمر ثّمانية وعشرون منزلًا عاد كالعرجون القديم كما كان حاله في بداية الشّهر(1)، فضوء القمر يبدأ بالازدياد ليلة بعد ليلة، ثم يأخذ في التّناقص حتى يعود شبيهًا بالعرجون القديم، والسّبب في ضرب هذا التّشبيه عدم وجود اسم لضوء القمر في آخر لياليه يُعرف به، بخلاف حاله ضوئه في أول أجزائه فيعرف باسم الهلال، وفي ذلك شرح وإيضاح متعمد لبيان مراحل حياة القمر ومنازله؛ لأنهم كانوا يتقنون هذا العلم، ولديهم القدرة والأهلية على فهمه، بخلاف سير الشّمس(2).

والرّاجح في تحديد القِدم اعتبار العرف والعادة، فقد لا توصف مدينة بنيت من سنة وسنتين، بأنها بناء قديم أو هي قديمة، وقد توصف بعض الأشياء بأنها قديمة، وإن لم يَمْضِ على بنائها سنة من الزّمان، لذا فالأمر يعود إلى ما تعارف عليه النّاس، لذا يصح أن يقال: بناء قديم وبيت قديم، ولا يصح أن يقال عن العالم أنه قديم؛ لأن القِدم في البناء والبيت أمر يثبت بحكم بمرور السّنين عليه وتقادم العهد، وإطلاق صفة القديم على العالم لا يعتاد إلا عند من يعتقدون أنه لا سابق عليه ولا أول له(3).

المسألة الثّالثة: وصف الكفار للدين الإسلامي أنه إفك قديم.

الكفر مبني على العناد على الرّغم من أن حقائق الإيمان واضحة، لذا يلجأ أكثر الكفار والمنافقين إلى حملات الكذب والتّشويه والتّضليل، بهدف إبقاء النّاس على الكفر، أو تشكيك أهل الإيمان في إيمانهم.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ١١ ﴾ [الأحقاف: ١١]

منذ اللحظة الأولى لبعثة النّبي – صلى الله عليه وسلم– كان الكفار في مكة المكرمة، وبخاصة أهل الشّرف والمكانة من علية القوم فيها، يهدفون لإنكار نبوته، والتّشكيك في صدق رسالته، فقاموا بنفث سموم مكرهم وحقدهم؛ عبر إلقاء الشّبهات والتي كان منها، أنهم لما علموا أن جماعة دخلت في الدّين الإسلامي،

---

(1) القِنّوجي، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، ج11/ص295.

(2) ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج23/ص23.

(3) الرّازي، فخر الدّين، أبو عبد الله محمد بن عمر، ت:606هـ، **مفاتيح الغيب**، ج26/ص278، دار إحياء التّراث العربي للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت – لبنان، ط3، 1420هـ – 1999م.

وأعلنت إيمانها برسول الله ﷺ، سارعوا بخبث ودهاء إلى إلقاء شبهة أمام جماعة كانت حاضرة من المؤمنين، فقالوا لهم: إن كان في هذا الدين خيرٌ، فكيف يسبقنا إليه عامة النّاس من الفقراء المساكين وأراذل القوم[1]، وفي سياق إضافي لتقديم تبرير على عدم إيمانهم، وصفوا هذا الدّين بأنه إفك؛ أي: كذب، ووصفوه بالقِدم؛ أي: أن فيه أمورًا متقادمة، لذا عندما يخبرك أحدهم عن حال أقوام قد مضت كأخبار قيصر وكسرى، تقول له: هذا حديث قديم، لا خير فيه، ولا فائدة تُرجى منه، فأرادوا إيصال رسالة بأن هذا الدّين إفك قيل قديمًا[2].

ومن عادات الإنسان الميل إلى الدّعة والرّاحة والتّقليد، واتباع الآباء والأجداد والسّير على خطاهم، دون تغيير أو تبديل، مما يعني البقاء في منطقة الأمان كما يُظن ويُدعى، ودافع ذلك الخوف من دفع ضريبة المغامرة والتّجديد، حتى لو كان الأمر يستحق ذلك، وهذا ما اتبعه واعتمده كفار قريش، فقد عادوا القرآن الكريم لكونه لم يأتِ على هواهم، ولم يتوافق مع مصالحهم، فكانت معاداتهم للقرآن ليس من باب إنكار صحته، فهم يدركون يقينًا صدقه وصدق صاحبه، لكنه العناد والتّكبر والغرور والتّعنت والنّظرة الدّونية للناس، لذلك رفضوا الإيمان بالقرآن واتخاذه كتاب هداية وإرشاد؛ فمن جهل شيئًا آذاه وحاربه وعاداه، فوصل بهم الحال إلى أن وصفوا القرآن بأنه إفك قديم.

المسألة الرّابعة: النّهي عن تقليد الأقدمين في ضلالهم.

لقد ميز الله الإنسان بالعقل، كي يستخدمه في إدراك الصّواب من الخطأ، ويكون مانعًا له من التّقليد الأعمى، فيسير في طريق الهدى عن علم وفهم، وتكون لديه القناعة التّامة بصحة ما هو عليه من عبادة، ومن ثمَّ القدرة على الدّفاع عن معتقداته الدّينية.

قال تعالى: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾. [الشعراء: ٧٥ – ٧٧]

---

[1] الرّازي، **مفاتيح الغيب**، ج28/ص12.

[2] ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرّحمن بن تمام الأندلسي المحاربي، ت: 542هـ، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السّلام عبد الشّافي محمد، ج5/ص95، دار الكتب العلمية للنشر والتّوزيع، لبنان – بيروت، ط1، 1422هـ – 2001م.

يوجه سيدنا إبراهيم –عليه السّلام– الخطاب إلى قومه، فيخبرهم أن هذه الآلهة التي يصنعونها ويعبدونها، وعبدها من قبلهم آباؤهم الأولون، ما هي إلا عدو له في الدّنيا ويوم القيامة(1)، وفيه هذا الإعلان توبيخ شديد وإنكار عظيم، يتضمن التّصريح ببُطلان آلهتهم وعبادتهم لها من دون الله، وأن وراثتهم لهذه العبادة عن الآباء والأجداد ووصفها بالأقدمية لا يعطيها في أي حالٍ من الأحوال صفة الحق والشّرعية أو كونها صوابًا(2)، فالباطل والحق لا يُحكم عليهما بناءً على العدد، ولا يُعرفا بكثرة أو قلة، ولا ضعف أتباع ولا قوتهم(3)، وفي هذا دليل واضح لا ريب فيه، أن التّقدم والأوليّة والأسبقية ما كانت في يوم من الأيام ولن تكون أبدًا برهانًا على الصّحة أو المصداقية، والباطل لا يصبح حقًّا بالتّقادم ومرور الوقت(4).

والعاقل يعلم أن الدّنيا دار فتنة وابتلاء واختبار وغرور، يغتر بها الجاهل فيغرق في بحر شهواتها وشبهاتها، فلا يكاد يخرج منها سالمًا، فقد امتلأ قلبه بالملذات الفانية والمُتع الزّائلة، والإنسان اللاهي هو في غفلة لا يكاد يصحو منها، وفي تيهٍ وضياع لا نجاة منه، فما أن تأتي ساعة الحساب يوم القيامة حتى يعض أصابعه ندمًا على تفريطه بما فات، وتقصيره فيما مضى، ولا ينفع الإنسان العتبَ ولا إلقاء اللوم على من كان سببًا في ضلاله وتزيين المعاصي له في يوم القيامة، فيتخذه عدوًا يوم القيامة سواء أكان طاغوتًا اتخذه إلهًا من دون الله أو كان غير ذلك، قال الله تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ... ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٧]

المسألة الخامسة: علم الله بالمستقدمين والمستأخرين.

علم الله تبارك وتعالى لا محدود، شامل لكل زمان ومكان، يعلم ما في السّموات والأرض وما بينهما، ولا يغيب عن علمه شيء ولو كان مثقال ذرة، وهو علم كامل لا يأتيه الباطل ولا العيب ولا الخطأ ولا النّقص، يشمل الأولين والآخرين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحجر: ٢٤]

---

(1) الطّبري، **جامع البيان**، ج19/ص362 – ص363.

(2) الألوسي، شهاب الدّين محمود بن عبد الله الحسيني، ت:1270هـ، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ج10/ص93، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1415هـ – 1994م.

(3) الرّازي، **مفاتيح الغيب**، ج24/ص510.

(4) الزّمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، ت:538هـ، **الكشاف عن حقائق غوامض التّنزيل**، ج3/ص318، دار الكتاب العربي، لبنان – بيروت، ط3، 1407هـ – 1986م.

وقع الاختلاف بين علماء التّفسير في تحديد المقصود بالمستقدمين والمستأخرين المذكورين في الآية، فذكروا عدة أقوال كان من أبرزها ما يأتي: ولقد علمنا من مضى من الأمم، فتقدم هلاكهم، ومن خُلقوا وهم أحياء الآن، ومن لم يخلقوا بُعد ممن سيُخلقون لاحقًا[1]، وعلمنا من تقدم ولادة وموتًا ومن تأخر؛ ومن تقدم في فعل الطّاعات والقُربات ومن تأخر فيها، ومن تقدم في صفوف الجهاد والقتال في سبيل الله ومن تأخر عن ذلك، والمستقدمون هم الأمم التي سبقت قدوم أمة النّبي صلى الله عليه وسلم من عهد سيدنا آدم (عليه السّلام) والمستأخرون هم أمة النّبي صلى الله عليه وسلم إلى قيام السّاعة، والمستقدمون من نال الشّهادة في طريق الجهاد والمستأخرون من لم يُقتل، ومن أسلم أولًا ومن يُسلم آخرًا[2]، والمستقدمون في صفوف الصّلاة، والمستأخرون فيها بسبب وجود النّساء[3]، والمستقدمون من مضى من ذرية سيدنا آدم عليه السّلام، والمستأخرون من لا زالوا في أصلاب الرّجال[4].

ومن الخصائص التي اختص بها الله تبارك وتعالى لنفسه، هو علمه الأزلي بما كان ويكون وسيكون، وبما هو كائن، وبما لم يكن لو كان كيف كان سيكون، فهو علم شامل كامل جامع مانع تام، لا خطأ ولا نقصان فيه، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن أشكال هذا العلم، علمه عز وجل بموعد الحياة والموت للمخلوقات كافة، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤ ﴾ [لقمان: ٣٤]

المسألة السّادسة: إقامة الحجة على الكفار بتقديم إرسال الله للأنبياء والرّسل عليهم السّلام.

إن من تمام عدل الله تبارك وتعالى ألا يعذب نفسًا لا تستحق العذاب، ومن أسباب استحقاق العذاب إقامة الله الحجة على النّاس بإرسال الأنبياء والرّسل إليهم، بهدف دعوتهم إلى الدّين الحق، للفوز بالجنة والنّجاة من النّار. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ٢٨ ﴾ [ق: ٢٨]

---

[1] الطّبري، **جامع البيان**، ج17/ص93.
[2] القِنّوجي، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، ج7\ص161.

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج19/10.
[4] الألوسي، **روح المعاني**، ج7/ص278.

في محكمة الآخرة، يأتي الكافر رافعًا دعواه وادعاؤه إلى رب العالمين، فيتهمُ الملائكة التي وُكِلَ لها أمر كتابة وتسجيل أعمال النّاس، ورصد أقوالهم وأفعالهم، قد زادوا عليه في الكتابة، فدونوا عليه أشياء لم يفعلها، فترد الملائكة ذلك نافية هذا الاتهام الباطل، فهي مؤتمنة من رب العالمين، فيقول الله حينها: ﴿لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ ﴾ أي: للكافرين وقرنائهم من الشّياطين، وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ أي: أقمت عليكم الحجة، بإرسال الأنبياء والرّسل إليكم، مبشرين ومنذرين[1]، فلا يوجد مسوّغ للاختصام الآن وقد جاء موعد الحساب والثّواب والعقاب، وكل أعذاركم مرفوضة، ومسوّغاتكم واهية، ودعاويكم مردودة، وحُججكم باطلة، فلقد أنزل الله عليكم الكتب السّماوية[2]، فلا فائدة تُرجى من الاختصام يوم الحساب، ولا تطمعوا في الخلاص من العذاب والهروب من العقاب بما قدمتم من أعذار باطلة، فقد قدم الله إليكم بالوعيد حيث قال لإبليس: ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨]

لكنكم رغم كل التّهديد والوعيد والتّرهيب والتّحذير، أبيتم إلا أن تتبعوا سبل الشّياطين، ضاربين بعرض الحائط الخطوط الحمراء كافة، معرضين عن طريق الحق والصّواب، فكان عقابكم عدلًا من الله تبارك وتعالى،
ودخولكم النّار واجبًا[3].

ومن اللطائف جمع الضمير في قوله تعالى: ﴿لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ ﴾ فقد أراد الله بذلك مخاطبة جميع القرناء على حد سواء؛ إذ إن الأمر شائع، ليس خاصًا فلا يتوقف عند حدود اثنين فقط[4]، واستخدام لفظ **(ظلام)** جاء على صيغة المبالغة، للتّأكيد على أن الله لو عذب من لا يستحق العذاب لكان في هذا التّعذيب ظلامًا مفرط الظلم –حاشاه تبارك وتعالى–، فنفى بهذه الصّيغة الظّلم عن نفسه تبارك وتعالى[5].

ومن الأمور المترتبة على الإقرار بوجود يوم القيامة، الإيمان بالبعث من القبور بعد النّفخ في الصّور، وما ينتج عن ذلك من ثواب وعقاب ودخول للجنة والنّار، وعند دخول أهل النّار إليها من الإنس والجن، لا ينفعهم تخاصمهم عند الله، ولا إلقاء اللوم على بعضهم بعضًا، فقد قُضي الأمر وانتهى، ولا يخفف في عذابهم

---

(1) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج17/ص17.

(2) القِنّوجي، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، ج13/ص175.

(3) الألوسي، **روح المعاني**، ج13/ص336.

(4) ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5/ص164.

(5) الزّمخشري، **الكشاف**، ج4/ص388.

تبرؤ بعضهم من بعض، فقد فات أوان ذلك، والله هو الحق العدل، الذي حرم الظّلم على نفسه، وحرمه بين خلقه، فما كان ليعذب أهل النّار دون ذنب اقترفوه، أو فرض اجتنبوه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿...وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥] وما كان ليحاسبهم على شيء جهلوه قبل أن يرسل لهم في ذلك أمرًا وبلاغًا، وبذلك قد أقام الله الحجة عليهم، ولا عذر لهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥]

المسألة السّابعة: عدم التّقدم ساعة من الزّمن عن الموعد المحدد سواءً للأفراد أو الأمم.

لقد حدد الله مواقيت وأزمنة، لا تقديم ولا تأخير لها، مثل ساعة موت الإنسان، وموعد يوم القيامة، واختص الله تبارك وتعالى بعلم هذه المواعيد، فجعلها من علم الغيب الذي لم يُطلع عليه أحدًا من خلقه. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [سبأ: ٢٨ – ٣١]

يأمر الله النّبي صلى الله عليه وسلم إخبار الكفار، بأنه قد حُدد لهم موعد ثابت لا يتأخرون عنه بالاستمهال، ولا يتقدمون عليه بالاستعجال، فهو وقت قدر الله حصوله في موعده، ووقع الاختلاف بين العلماء في تحديد الميعاد المقصود في الآيات، فقالوا هو يوم البعث من القبور، وقالوا وقت حضور ساعة الموت ومغادرة الدّنيا(1)، وقالوا هو يوم غزوة بدر الكبرى؛ لأنه كان اليوم الذي حكم الله فيه عليهم بالعذاب في الدّنيا(2)،وفي هذا الإخبار إنذار وبيان يوضح أن الأمر عظيم، والخطر كبير، والخطب جلل، فالأمر العادي

لا يستحق التّأخير أو إيقافه على موعد، بخلاف الأمر العظيم(3).

---

(1) القِنّوجي، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، ج11/ص195.

(2) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج14/ص301.

(3) الرّازي، **مفاتيح الغيب**، ج25/ص207.

وقد جاءهم هذا الرّد بعدما سألوا عن الوقت وهم أصلًا منكرون له تعنتًا وعنادًا وتكبرًا، وليس استرشادًا وطلبًا للحق، فجاء الجواب على صورة التّهديد مناسبًا لقدوم السّؤال على سبيل التّعنت والإنكار، وتم تعيين الوقت ليأتيهم فجأة على حين بغتة، فلا يستطيعون تأخرًا عنه، ولا تقدمًا عليه[1] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٤ ﴾ [الأعراف: ٣٤] وأمر النّفع والضّر كله بيد الله تبارك وتعالى، لا يملك أحد من البشر فيه شيئًا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٤٩ ﴾ [يونس: ٤٩] ومن رحمة الله بالعباد أنه يمهلهم وقتًا للتوبة ويعطيهم الفرصة تلو الأخرى ولا يعاجلهم بالعقوبة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٦١ ﴾ [النحل: ٦١]

ومن أسباب إخفاء الله تبارك وتعالى موعد يوم القيامة عن النّاس، كي تبقى القلوب على وجل، من هذا الأمر الجلل، ولا تغتر بطول الأمل، فتسيء العمل، وجعل علمها خاصًا به سبحانه وتعالى فقال عز وجل: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ... ١٨٧﴾ [الأعراف: ١٨٧]

لذا كان حريًا بكل مسلم وواجبًا عليه أن يكون على حذر، وعلى أهبة الاستعداد للقيامة الصّغرى (موته) أو للقيامة الكبرى (فناء الخلق) وذلك بالتزام الطّاعات واجتناب المحرمات.

---

[1] الزّمخشري، **الكشاف**، ج3/ص583.

المبحث الثَّاني: التَّقدم في المنزلة والشَّرف في القرآن الكريم.

لم يجعل الله تبارك وتعالى النّاس في منزلة واحدة من الرّفعة والمكانة والشّرف؛ بل فضل بعضهم على بعض في ذلك، تِبعًا لما امتازوا به من التّقوى والصّلاح وخشية الله تبارك وتعالى، فكان أعلاهم منزلة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم أولوا العزم من الرّسل ثم الرّسل والأنبياء عمومًا والشّهداء والصّديقين والصّالحين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ ﴾ [يونس: ٢]

أنزل الله تبارك وتعالى القرآن الكريم على النّبي صلى الله عليه وسلم، وهو رجل من البشر، وكان الهدف من بعثه للنّاس، وإنزال القرآن الكريم عليه، تحذير النّاس من الظّلم، وإنذارهم من عقاب الله تبارك وتعالى على ما صدر عنهم من ذنوب ومعاصي، فهل إنزال القرآن على إنسان هو أمر يستحق العجب؟ وكأنهم بذلك ينفون علمهم، ويدعون جهلهم، بأن الله قد أوحى إلى أنبياء ورسل آخرين من قبله وكانوا مثله من البشر، فعلامَ تعجبون الآن من وحي الله إليه؟[1]، وعجبوا أيضًا من إخباره لهم أنهم سيبعثون من القبور، ليحاسبوا على أعمالهم خيرها وشرها في يوم القيامة، وكثر كلامهم وظهر حسدهم وحقدهم وسوء أدبهم حتى قالوا باستهزاء واستكبار يدل على نفوسهم المريضة: ألم يجد الله غير يتيم أبي طالب حتى يبعثه لنا رسولًا؟[2]، ومعنى **قدم صدق**، الدّرجة الرّفيعة العالية المرموقة في ميدان الشّرف والخير، أو النّبي صلى الله عليه وسلم شفيع النّاس يوم الحشر الأعظم، أو هي الأعمال الصّالحة والقُربات والطّاعات والصّلوات والصّيام والصّدقات وذكر الله[3]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ...وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ ... ﴿١٢﴾ ﴾ [يس: ١٢] أو دعاء الملائكة لهم بالخير، أو ثمرة الولد الصّالح فهو ينفع ويشفع ولدرجات والديه يرفع.

والرّاجح أن حقيقة الأمر هي السّعي في العمل الصّالح ابتغاء مرضاة الله تعالى، فكنى عنه بالقدم، كما يكنى عن الإنعام باليد وعن الثّناء باللسان[4]، والمراد بيان أسبقيتهم في دخولهم الفردوس الأعلى، متقدمين على غيرهم في الفوز بالجنة[1].

---

[1] الطّبري، **جامع البيان**، ج15/ص12 – ص13.

[2] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج3/ص102.

[3] القِنّوجي، **فتحُ البيان**، ج6/ص10.

[4] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج8/ص306.

وقد أثبت الله تبارك وتعالى صدق رسالة النّبي صلى الله عليه وسلم بالعديد من الأدلة النّقلية والعقلية، ومن ذلك إثباتها عن طريق الوحي أي: القرآن الكريم بما فيه من معجزات خالدة إلى قيام السّاعة، وقد أرسل الله تبارك وتعالى النّبي صلى الله عليه وسلم بوظيفة أساسية بأن يكون بشيرًا للناس بدخول الجنة إن فعلوا الطّاعات، ونذيرًا لهم من دخول النّار إن فعلوا المحرمات، وهكذا هي وظيفة الأنبياء والرّسل جميعًا على اختلاف الزّمان المكان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤ ﴾ [فاطر: ٢٤]

ومحاولات المشركين لا تنتهي في الكذب والتّضليل والصّد عن سبيل الله تبارك وتعالى، وتشويه صورة الأنبياء والرّسل واتهامهم بما ليس فيهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ٥٢ ﴾ الذاريات: ٥٢ وكل ذلك محاولات باءت بالفشل، فالعاقبة في النّهاية لأهل الإيمان والتّقوى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩ ﴾ [هود: ٤٩]

---

(1) الألوسي، **روح المعاني**، ج6/ص60.

المبحث الثَّالث: التَّقدم في الخير والشَّر في القرآن الكريم.

يسعى الإنسان المؤمن إلى التّزود من الخيرات، ابتغاء مرضاة الله ودخول الجنة، فتراه يسارع إلى فعل الطّاعات، ويجتنب فعل الشّرور والمنكرات.

المطلب الأول: التّقدم في الخير في القرآن الكريم.

المسألة الأولى: أداء الطّاعات والقربات إلى الله تبارك وتعالى.

إن ما يفعله العبد من طاعات لله عز وجل يعود نفعها له فهو الفائز برضوان الله؛ عبر تقديم هذه الطّاعات، سواءً كانت البدنية كالصّلاة أو المالية كالزّكاة أو غيرها من الأعمال الصّالحة التي تُسجل في ميزان حسناته.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا **تُقَدِّمُواْ** لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٠﴾ ﴾ [البقرة: ١١٠]

الأعمال الصّالحة التي يفعلها الإنسان المسلم في حياته، فيقدمها ابتغاء مرضاة الله، خالصة لوجهه الكريم سبحانه وتعالى، تكون له عزًا في الدّنيا، فينال خيرها وبركتها، وتكون له أجرًا وذخرًا ورصيدًا في ميزان حسناته يوم القيامة، فيفوز بحسن الجزاء وخير الثّواب أضعافًا مضاعفة[1]، وفي هذا الفوز على مستوى الدّار الدّنيا والآخرة، تشجيع وترغيب وتحفيز من الله تبارك وتعالى لأهل الإيمان أن يبذلوا قصارى جهدهم بتقديم ما ينفعهم ويعود عليهم بالخير والبركة، مثل إقامة الصّلاة وإيتاء الزّكاة وصيام رمضان وتفريج الكربات وتقديم الخير بأنواعه المختلفة، وصوره المتعددة، قليلًا أو كثيرًا، فالقليل خير من الحرمان، وكل هذه الأعمال الصّالحة لا يخفى منها شيء على الله، فالله بكل شيء سميع عليم بصير، وفي هذا التّأكيد والتّوضيح ترغيب وتحبيب بالسّعي لأعمال البِر والإحسان، وزجر وترهيب عن فعل المعاصي والفواحش ما ظهر منها وما بطن[2]، وفي ذكر الآيات للصّلاة والزّكاة على وجه المثال كشكل من أشكال أعمال الخير، فيه جمع بين العبادة البدنيّة والماليّة للدلالة على أهمية ذلك[3]، وفي الأمر بضرورة الثّبات على دين الإسلام والعفو والصّفح والتّسامح والتّجاوز، تعريض وإشارة لليهود الذين لا يمكنهم الإقدام على مثل هذه الطّاعات مثلكم

---

(1) الطّبري، **جامع البيان**، ج2/ص505.

(2) القِنّوجي، **فتحُ البيان**، ج1/ص253.

(3) الألوسي، **روح المعاني**، ج1/ص357.

وخاصة العفو منها، لكن لا يحزنكم ما تجدونه من جهد الطّاعة، فأجرها باقٍ، وتعبها زائل، وحسبكم أن ما تفعلونه من خير لا يضيع ثوابه عند الله[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿...وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ٢٠﴾ [المزمل: ٢٠]

ومن أشكال الطّاعات والقربات التي أمر بها الله عز وجل، الماليّة كالزّكاة، والبدنيّة كالصّلاة والصّيام، ومنها ما تجمع بين الأمرين كالحج، وكل ذلك من الفروض المُلزمة، لكنها مرتبطة أيضًا بالقدرة والاستطاعة حسب حال الإنسان، وما يتعرض له من ظروف، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦﴾ [التغابن: ١٦] وكل ما يفعله الإنسان من خير هو مُسجل ومرصود، سيجده عند الله في ميزان الحساب يوم القيامة.

المسألة الثّانية: تقديم الصّدقات عند مناجاة النّبي صلى الله عليه وسلم.

إن للنبي صلى الله عليه وسلم منزلة سامية، ومكانة عالية رفيعة، تستحق الاحترام، وتستوجب التّقدير، وخصوصية لا بُد من صيانتها، فكان من ذلك أن أمر الله المؤمنين بتقديم صدقة قبل مناجاته. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٣﴾ [المجادلة: ١٣]

يوجه الله تبارك وتعالى خطابه إلى أهل الإيمان فيقول لهم: هل أصابتكم المشقة، ووقعتم في الحرج والضّيق لما وُجه لكم الأمر بتقديم الصّدقات بين يدي نجواكم عند رسول الله ﷺ، وهل خفتم بتقديمكم لهذه الصّدقات أن ينال الفقر منكم مبلغًا[2]. **ومن اللطائف** مجيء لفظ الصّدقات في الآية بصيغة الجمع، وذلك باعتبار المخاطبين، ومن المسائل التي اختلف فيها العلماء، تحديد مدة بقاء حكم تقديم الصّدقات عند مناجاة رسول الله، فقالوا استمر الحكم مدة عشر ليالٍ ثم نسخ، وقالوا ليلة واحدة فقط، وقالوا يوم واحد، وقالوا ساعة من نهار[3]، والمقصود بالمناجاة أي: المساررة، والمقصود إذا أردتم مساررة الرّسول في أمر من أموركم

---

[1] ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج1/ص672.

[2] الطّبري، **جامع البيان**، ج23/ص251.

[3] القِنّوجي، **فتحُ البيان**، ج14/ص29.

﴿فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ﴾ أي: مساررتكم له ﴿صَدَقَةً﴾، ومن حِكم هذا التّشريع أن فيه زيادة تعظيم واحترام وتقدير وتوقير بشكل واضح لمقام النّبي محمد صلى الله عليه وسلم، وفيه انتفاع للفقراء والمساكين والمحتاجين الآخذين من هذه الصّدقات، وفي هذا التّشريع نهي عن كثرةِ السّؤال والجدال والقيل والقال، ويهدف أيضًا إلى التّمييز بين المخلص الصّادق والمنافق الفاسد، ومحب الدنّيا من محب الآخرة[1]، ثم جاء التّخفيف من الله، بأن جعل لهم سبيلًا، وجعل لهم من أمرهم مخرجًا، ومن ضيقهم فرجًا، فأخبرهم أنهم إن لم يفعلوا ما أُمروا به، فقد وسعت الله رحمته كل شيء فغفر لهم وتاب عليهم ورخص لهم في أن لا يفعلوه، فلا تقابلوا هذه النّعمة بالجحود والإنكار، واشكروا الله على فضله، ولا تفرطوا على الأقل في الصّلاة والزّكاة وغيرها من الطّاعات[2]، وكان في أمر الله لهم بتقديم الصّدقة قبل مناجاة النّبي، تقديم للخير لهم في دينهم، لأن في الصّدقة تطهير من الذّنوب وبركة يجدها المقدم في حياته[3]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢ ﴾ [المجادلة: ١٢]

وفي ضوء ما تقدم فالنّسخ في الدّين الإسلامي مشروع، بأن يُنسخ الحكمُ وتبقى التّلاوة، فقد أنزل الله الأمر بدفع الصّدقة قبل مناجاة الرّسول، ثم رفع الحكمَ قبل التّطبيق، وهذا التّخفيف من رحمة ورأفة الله بعباده، وأن الإنسان إن لم يستطع فعل بعض الطّاعات من السّنن والمندوبات والمستحبات، فإقامة الفروض من الصّلاة والزّكاة تعوض وتجبر التّقصير، والأخلاق وتهذيب النّفس وتزكيتها وتربيتها في ميزان الحسنات أثقل ما يكون، لذا ما أجمل أن يجمع بين الأمرين معًا، شعائر المظهر ومبادئ القيم والأخلاق وسلوكيات الجوهر.

المسألة الثّالثة: عدم تقديم الأهواء على حكم الله والرّسول.

إن من صفات الإنسان المسلم إيمانه بأن الحاكمية لله تبارك وتعالى، فلا أحد يملك حق التّشريع سواه عز وجل، وإن أي تعارض ما بين حكم الله تعالى وأهواء العبد، يجب تقديم حكم الله على كل ما هو دونه.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ ﴾ [الحجرات: ١]

---

(1) القِنّوجي، **فتحُ البيان**، ج14/ص27.

(2) الرّازي، **مفاتيح الغيب**، ج29/ص496.

(3) الزّمخشري، **الكشاف**، ج4/ص493.

سبب النّزول:

جاء وفد من بني تميم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال أبو بكر الصّديق –رضي الله عنه–: أمّر النّبي صلى الله عليه وسلم القعقاع بن معبد بن زرارة، أي: استعمله وجعله أميرًا، فقال عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–: بل أمّر الأقرع بن حابس، فقال له سيدنا أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، أي: مخالفة قولي، فقال عمر: ما أردتُ خلافك، فتماريا أي: تجادلا في الأمر وتخاصما، حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت الآية بسبب هذا الموقف[1].

يوجه الله تبارك وتعالى خطابه، لأهل التّوحيد والتّقوى، المؤمنين بنبوة النّبي صلى الله عليه وسلم، والمصدقين برسالته، فيقول لهم ناهيًا ومحذرًا: ﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي: لا تتعجلوا قضاء شأن يتعلق بأمر دينكم أو دنياكم، قبل أن يقضي الله ورسوله لكم، كي لا يكون قضاؤكم مخالفًا لأمر الله ورسوله[2]، ولا تقدموا قولًا ولا فعلًا على حكم الله ورسوله في أي شأن من شؤون الدّين والدّنيا المأخوذة منهم، ومن يفعل خلاف بتقديم قوله أو فعله على حكم النّبي ﷺ فيكون بذلك قد قدمه على حكم الله تعالى؛ لأن النّبي ﷺ يوحى إليه من الله تبارك وتعالى له[3].

ومن فوائد تصدير الخطاب بأسلوب النّداء استدعاء نظر المخاطبين بتنبيههم وإثارة اهتمامهم، وفي وصفهم بالإيمان تنشيط وتحفيز وتشجيع لهم على الالتزام بالأمر الصّادر، المتمثل بالنّهي عن الإقدام على أي أمر من الأمور دون الرّجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه[4]، وهذا فيه مزيد احترام وتوقير وإجلال وتعظيم للنّبي صلى الله عليه وسلم قولًا وفعلًا، وعدم الاغترار برأفته ورحمته بهم، وضرورة النّظر الدّائم إلى رفعة مكانته، واستحضار علو درجته[5].

---

[1] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، ت: 256هـ، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر النّاصر، كتاب المغازي – باب وفد بني تميم، ج5/ص168، رقم الحديث: 4367، دار طوق النّجاة، بيروت – لبنان، ط1، 1422هـ – 2001م.

[2] الطّبري، **جامع البيان**، ج22/ص272.

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج16/ص300.

[4] الألوسي، **روح المعاني**، ج13/ص284.

[5] الرّازي، **مفاتيح الغيب**، ج28/ص91.

فالأصل في المسلم الالتزام بما جاء في القرآن الكريم والسّنة النّبوية الشّريفة، فلا يقدم على ذلك قولًا ولا رأيًا ولا اجتهادًا، فلا مَحلَ للاجتهاد في موضع وجود النّص الشّرعي، فإن غاب عنه النّص فقال برأيه، ثم تبين له وجوده عاد إلى النّص تاركًا قوله. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦]

وحرمة النّبي صلى الله عليه وسلم واحترامه باقية في حال حياته وبعد مماته، فإن ذُكر النّبي صلى الله عليه وسلم صلينا عليه، وأنصتنا لمن يُخبرنا عن حديثه، وعند وجودنا في المسجد النّبوي لا نرفع صوتنا إلا عند الحاجة كإعطاء موعظة أو خطبة أو الأذان للصلاة، وهذا من باب الأدب والذّوق والرّقي، وضرورة الالتزام بما جاء فيه فنقول سمعنا وأطعنا، وخلاف ذلك تكون النّتيجة الخسران المبين في الدّنيا والآخرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿...وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥]

المسألة الرّابعة: إعلام الإنسان يوم القيامة بما قدم وأخر في الدّنيا.

لقد جعل الله تبارك وتعالى ملائكة وظيفتهم تدوين ما يفعله العبد في حياته من أقوال وأفعال، بحيث يتم رصدها في كتابه، كي يُنبأ بها يوم القيامة، ويحاسب عليها إما بالثّواب إن كانت خيرًا، أو بالعقاب إن كانت شرًا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ١٣ ﴾ [القيامة: ١٣]

في يوم الحساب والجزاء، تُجمع الشّمس والقمر فيُكوران، فيُخبَرُ الإنسان حينها بما قدم وأخر، من عمل خير أو شر، ويجد ما عمله في الدّنيا قبل مماته، وما أخر بعد مماته من سيئة وحسنة، أو سيئة يُعمل بها من بعده[1]، وما قدم من أموال ومتاع وما ترك وراءه للورثة من بعده، وما جعله وقفًا في سبيل الله أو وصية، وما قدم من فرض وأخر من فرض، كل ذلك يجده أمامه حاضرًا، ماثلًا أمام عينيه، وموعد هذا الإخبار يكون عندما توزن أعمال العباد يوم القيامة، ويمكن أن يكون ذلك عند ساعة الموت، لكن الرّاجح أن الأول هو

---

[1] الطّبري، **جامع البيان**، ج24/ص61.

أقرب للصّواب[1]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧ ﴾ [التغابن: ٧]

والمراد بـ ﴿ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ هو الكافر اعتمادًا على سياق الآيات السّابقة، وخاصة أن الخطاب موجه له وهو المقصود بالكلام، مع التّأكيد على أن كل إنسان من أهل الخير والشّر سيُخبرُ يوم القيامة بما قدّم وأخر من أعمال، ويجازى كُلٌ منهم على عمله بالثّواب أو العقاب بحسب ما كان منه[2]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ٥ ﴾ [الانفطار: ٥]

وقد يموت الإنسان، ورصيده لا يتوقف خيرًا كان أو شرًا، مع استمرار الملائكة في رصد وكتابة الحسنات والسّيئات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ٩٤ ﴾ [الأنبياء: ٩٤] فالعمل لا ينقطع بمجرد الموت، فمن عمل صالحًا فله أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة، ومن عمل سيئًا فعليه إثمه وإثم من عمل به إلى يوم القيامة، وكل ذلك سيجده عند الله يوم القيامة محفوظًا ويحاسبه عليه ثوابًا وعقابًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨ ﴾ [الزلزلة: ٦ – ٨]

المسألة الخامسة: ذكر الله تعالى قبل جماع الزّوجة.

ما من فعل يفعله العبد، إلا ويحاسبه الله عليه، فلا يكاد يخرج فعل من أفعاله أو قولٌ من أقواله، عن كونه خيرًا أو شرًا، ومن ذلك جماع الزّوجة فإن له به الأجر إن قصد به إعفاف نفسه وإنجاب الذرية الصّالحة، فيرافق هذه النّية ذكر الله لتحصيل بركة الجماع وما ينتج عنه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٢٣ ﴾ [البقرة: ٢٢٣]

---

[1] القِنّوجي، **فتحُ البيان**، ج14/ص439.

[2] ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج29/ص346.

سبب النّزول:

كانت اليهود تقول: أن الرّجل إذا أتى أي: جامع امرأته مِن دُبرها في قُبلها، فَحمَلت كان الولد أحولًا، فردًا على قولهم هذا، نزلت الآية للدلالة على جواز الجماع في القُبل من الدّبر، ونفي دعواهم بأن الولد يكون أحولًا بسبب ذلك(1).

الزّوجة هي بمثابة الأرض الخصبة الحاضنة للولد، فشرع الله تبارك وتعالى لزوجها أن يأتيها كيفما شاء، وأينما شاء، وقتما شاء، وجعل ذلك من المباحات، ما لم يكن في الأمر مخالفة لضوابط الشّرع، أو وقوع في المحظورات التي نصت عليها الشّريعة الإسلامية، و"الحرث" هو الزّرع، وقد وصف الله تبارك وتعالى المرأة بذلك، أي بالحرث لكونها سبب من أسبابه(2)، ومن الدّلائل التي يدل عليها لفظ الحرث كونه يفيد إباحة الجماع في القُبل خاصة، دون سواه من الأماكن الأخرى، وسبب ذلك أن القُبل هو مزدرع الذّرية، فشبه الله تبارك وتعالى ما يوضع في أرحام النّساء من النّطف التي منها يكون ويتكون النّسل، بما يغرس في الأرض من البذور التي منها الثّمر، فكان فرج الزّوجة كالأرض الحاضنة، ونطفة الزّوج كالبذر فيها، والولد كالزّرع المثمر اليانع النافع الماتع بعد النّضوج، وقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾ أي: يجوز للزوج أن يجامع زوجته على أي وضعية كانت فيها، طالما أن مكان الإتيان في القبل، وعبر سبحانه وتعالى بكلمة **أنّى** لكونها أعم وأشمل في اللغة من ألفاظ أين وكيف ومتى، مع التّأكيد والإشارة إلى حرمة إتيان الزّوجة في الدّبر(3)، وقوله تعالى: ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡ﴾ أي: افعلوا الطّاعات، واجتهدوا في القُربات، ولا تقدموا الشّهوات والملذات على أوامر الله تبارك وتعالى، واذكروا الله عز وجل عند الجماع لما في ذلك من تحصيل الخير والبركة، إن قدر الله في تلك السّاعة ذرية بينكما في الحلال الطّيب الطّاهر المبارك(4).

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن الكريم، باب {نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم} [البقرة: 223] الآية، ج6/29، رقم الحديث: 4528، مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النّيسابوري، ت:261هـ، **المسند الصّحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب النّكاح، باب جواز جماعه امرأته في قبلها، من قدامها، ومن ورائها من غير تعرض للدّبر، ج2/ص1058، رقم الحديث: 117، دار إحياث التّراث العربي للطباعة والنّشر والتّوزيع، لبنان – بيروت، دط، دس.

(2) الطّبري، **جامع البيان**، ج4/ص397.

(3) القِنّوجي، **فتحُ البيان**، ج1/ص449.

(4) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، ت:450هـ، **النّكت والعيون**، تحقيق: السّيد ابن عبد المقصود بن عبد الرّحيم، ج1/ص285، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، دط، دس.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: استعينوا بتقوى الله على طاعته، واجتناب معصيته، ففي ذلك مغفرة ذنوبكم ورفعة درجاتكم، ويُوضح قوله تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ﴾ قوله عز وجل:

﴿ ... فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ ... ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢] بأن قُيدت إباحة الإتيان وجعلها محصورة في القُبل كما أمر الله عز وجل، وفي قوله تعالى: ﴿ ...إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢] بشرى سارة للفوز بمحبة الله والسّير في طريق رضوانه تعالى، بالحرص على تجديد التّوبة والتّطهر من ذنوب القلب وأدران الجسد؛ وفي تكرار الأمر بذلك، اهتمام واضح بضورة السّعي للأعمال الصّالحة الباقية الدّائمة، بعد الحديث عن الملذات الفانية والشّهوات الزّائلة والمُتع العاجلة، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ فيه جمع بين التَّحذير والتَّرغيب، أي: احرصوا على ملاقاة الله بما يرضيه عنكم، وتجنبوا غضبه[1]، واعلموا أن في تحملكم لمشقة فعل الطّاعة التي يذهب تعبها ويبقى أجرها، وفي صبركم على ترك المعصية التي تذهب لذتها وتبقى حسرتها، ابتغاء مرضاة الله، واحتساب الأجر والثّواب يوم القيامة، سعادتكم في الدّنيا والآخرة.

ومن اللطائف أنه لولا وجود الجزاء ثوابًا وعقابًا، لكان في طلب الإقدام على الطّاعة وترك المعصية، عبث تتنزه الشّريعة الإسلامية عنه، ثم قال تعالى:﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ أي: بالثّواب والكرامة والفوز بالجنة والنّجاة من النّار[2] قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾﴾ [الأحزاب: ٤٧]

ولا يجوز للرجل أن يسبب لنفسه الضّرر، أو يوقعه على زوجته، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ ...﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢] فلا يجوز له جماعها قبل أن تغتسل من دم الحيض والنّفاس حتى ولو انقطع الدّم، فالغسل شرط لجواز الجماع، وكذلك لا يجوز له جماعها في غير القُبل كالدّبر مثلًا، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ...فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢]

وليعلم الإنسان أن زاده نحو الآخرة هو العمل الصّالح بتقوى الله، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ...وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٧] واتباع أمره واجتناب نهيه، وفي التزام وتحقيق

---

[1] ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج2/ص375.

[2] الرّازي، **مفاتيح الغيب**،ج6/ص424.

ذلك بشرى من الله ورسوله للعبد بالمغفرة ودخول الجنة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾ [يس: ١١]

المطلب الثّاني: التّقدم في الشّر في القرآن الكريم.

إن ارتكاب الإنسان للمحظورات، ناجم عن التّعلق في الدّنيا، وتفضيل الملذات الفانية على النِعمِ الباقية، وهذا ما يجب أن ينتبه إليه الإنسان المؤمن فلا يقع فيه، فالعاقل لا يبيع الجنة بثمن بخس من الدّنيا.

المسألة الأولى: استحباب اليهود الحياة الدّنيا بسبب ما فعلته أيديهم.

العالِمُ بذنبه لا يعيش مرتاحًا، فهو يخاف ساعة العقوبة، لذا يبقى في حالة من عدم الأمن والاستقرار، يحاول تجاهل الحقيقة وتناسيها، ظنًا منه بذلك أن هذا قد ينجيه من العقوبة، لكن أنى يحصل ذلك، والله قد تعهد بعقاب الظّالمين وألا يفلتوا من العقاب ومنهم اليهود.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [البقرة: ٩٤ – ٩٥]

عادة الإنسان أنه محب للحياة، كاره للموت، يسعى إلى عمارة الدّنيا الزّائلة، ولو على حساب جعل آخرته خرابًا، فإن كان هذا حال الإنسان عمومًا، فاليهود أشد النّاس حبًا لحياة مهما كانت، فيقبل بأي حياة، المهم ألا يموت، لذا يخبر الله تعالى عن حال اليهود وكراهيتهم للموت، ورفضهم الاستجابة إلى ما دعوا إليه من تمني الموت، وذلك لإدراكهم أنهم إن فعلوا ذلك فالموت سيحل بهم، والعذاب سيقع عليهم، وليقينهم أن النّبي محمد ﷺ صادق وهو مرسل من عند الله إليهم، وهم مكذبون به، فيحذرون من تمني الموت، خوفًا من أن يحل عليهم غضب الله بما كسبت أيديهم من الذنوب(1)، ومن أهداف أن يتحدى الله اليهود بأن يتمنوا الموت، إظهار وإثبات كذبهم في دعواهم، فكان التّحدي قائمًا ومرتبطًا بقولهم عبارة (ليتنا نموت)، إلا أنهم رفضوا ذلك، وقوله تعالى: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ ﴾ هو خبر قطعي الثّبوب والدّلالة أن تمني الموت لن يقع منهم الآن، ولن يقع في المستقبل القريب ولا المستقبل البعيد، ولا في أي زمان آخر، وفي هذا إخبار عن أمر من أمور الغيب، وتحدٍ واضح كالشّمس في كبد السّماء، فمع توفر الأسباب والدّواعي لدى هؤلاء القوم لتكذيب النّبي ﷺ وإتاحة السّبل بهذا التّحدي لذلك وسهولة الإتيان بهذه الكلمة، إلا أنهم عجزوا وخابوا وخسروا ولم يقولوها، وفي

---

(1) الطّبري، **جامع البيان**، ج2/ص367.

هذا دلالة واضحة على صدق نبوة النّبي صلى الله عليه وسلم، وأنه ما كان منه أن يعلن هذا التّحدي المصيري، وأن يخاطر ويغامر بهذه الطّريقة، لولا ثقته ويقينه أنه لا يقول ذلك من عند نفسه، إنما عن طريق الوحي من الله تعالى، والسّبب في عدم تمنيهم الموت، يوضحه قوله تعالى: ﴿ بِمَا **قَدَّمَتْ** أَيْدِيهِمْۚ ﴾، فقد عملوا السّوء وعلموا من أنفسهم ذلك وعرفوا كثرة ذنوبهم المُهلكة، وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ هو زجر وردع وتهديد وترهيب؛ يوضح أن الله عالم السّر والنّجوى، وليس بالإمكان إخفاء شيء عنه، فهو مطلع على كل شيء، وبالتّالي استشعار ذلك مدعاة وسبب عظيم للامتناع عن ارتكاب الخطايا والذّنوب، **ومن اللطائف** أن الله ذكر لفظ الظّالمين؛ لأن كل كافر ظالم، وليس كل ظالم كافرًا[1].

واليهود أشد الخلق حرصًا وخوفًا على أمنهم وحياتهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا **قَدَّمَتْ** أَيْدِيهِمْۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الجمعة: ٧] فهم يحبون العيش ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، لذا ترى لديهم استعدادًا أن يقبلوا بأدنى حياة وأرذلها وأصعبها وأشقاها وأفقرها، ويفضلون ذلك على الموت، لأنهم يعلمون أن ما ينتظرهم بعد الموت هو العذاب والخزي والحرق في جهنم، وإن لم يعترفوا بهذا، وفي هذا التّمسك بالحياة الدّنيا، وكراهية الآخرة ولقاء الله، إقرار ضمني منهم ببُطلان معتقدهم وفساده، وخير شاهد على ذلك رفضهم قبول تحدي الإسلام لهم بتمني الموت.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [البقرة: ٩٦]

والدّنيا هي سجن للمؤمن إذا ما تم مقارنتها بالنّعيم العظيم في الآخرة، لذا فحال المؤمن أنه زاهد في الحياة الدّنيا، مقبل وراغب في الحياة الآخرة، يحب لقاء الله ويتمناه لينال ما أعده الله من نعيم أبدي لا يزول، فهو يعلم أن الحياة في سبيل الله أصعب من الموت في سبيله، ويدرك أن ما ينتظره بعد مغادرة الدّنيا من أصناف النّعيم المقيم والرّاحة والسّعادة، يدفعه لعدم التّمسك بالدّنيا الفانية، ويجعله متلهفًا مشتاقًا إلى الآخرة الباقية.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ...فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠]

---

[1] الرّازي، **مفاتيح الغيب**، ج3/ص605.

المسألة الثانية: عقاب الله لليهود على سوء أدبهم معه وقتلهم الأنبياء.

عندما تغيب الآخرة عن عقل الإنسان يتجرد من الوازع الدّيني داخله، فيتجرأ حينها على أن يقدم على فعل المنكرات كبيرها وصغيرها، وهذا ما حصل مع اليهود فأساؤوا الأدب مع الله، وقتلوا خير خلقه الأنبياء والرّسل فاستحقوا العقوبة على ما فعلوا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ [آل عمران: ١٨١ – ١٨٢]

عندما يصل سوء الأدب إلى منتهاه، ويصبح عادة غير مستغربة من القوم، فإنك تتوقع منهم كل شيء، لكن أن يصل الأمر للإساءة إلى الله، فهذا شيء لا يفعله إلا اليهود، فوصل بهم قبحهم عندما نزل قول الله تبارك وتعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ... ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة: ٢٤٥] إلى قول بعضهم: إن الله فقير محتاج، ونحن أغنياء يقترض منا[1]، وقد عاقبهم الله نتيجة قولهم القبيح وذنبهم الشّنيع، وليس في هذا العقاب أيُ ظلم لهم، بل هذا أساس العدل، أن يثاب المحسن على إحسانه، وأن يعاقب المسيء على إساءته، وعلى أي حال فالله هو مالك السّموات والأرض ومن فيهن، يتصرف كيفما شاء، ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون[2]، ومن كبائر الذّنوب الفظيعة التي وقعت منهم إقدامهم على قتل الأنبياء والرّسل، وسفك دمائهم. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا **قَدَّمُوا۟** وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢]

ومن اللطائف أن الأيدي ذُكرت على سبيل المجاز وليس الحقيقة؛ لأن الفاعل هو الإنسان لا اليد، ولكن عندما كانت اليد هي الآلة المستخدمة في الفعل كان من الحسن إسناد الفعل إليها[3]، وجعل إقدامهم على جريمة قتل الأنبياء قرينة لما صدر عنهم في حقه سبحانه وتعالى، إشعارًا واضحًا بأن الذّنبين في الشّناعة متقاربين، وهذا ليس بأول أمر يُقدمون عليه من الكبائر الخطيرة، فالكفر متأصل ومتجذر فيهم، ولهم في

---

[1] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج4/294.

[2] القِنّوجي، **فتحُ البيان**، ج2ص390.

[3] الرّازي، **مفاتيح الغيب**، ج9/ص448.

الجرائم سوابق، وأن من وصل به الحال إلى قتل الأنبياء، لا يُستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول الشّنيع[1]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ذَٰلِكَ بِمَا **قَدَّمَتْ** أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾ [الأنفال: ٥١]

وفي قوله تعالى عن اليهود: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المائدة: ٨٠]

فقد كان اليهود لا ينتهون عن منكر ارتكبوه، ولا ينهى بعضهم بعضًا عن ذنب فعلوه، فرد الله عليهم بأن أقسم لبئس الفعل الذي كانوا يفعلون، من ارتكاب للمحرمات وقتل أنبياء الله ورسله، ثم وجه الله الخطاب للنّبي صلى الله عليه وسلم فقال له: إن كثيرًا من بني إسرائيل والمنافقين يعملون على اتخاذ المشركين من عبدة الأوثان والأصنام أولياء لهم، ويعادون ويحاربون الدّين وأولياء الله ورسله، فيقسم الله مجددًا الإنكار عليهم، لبئس ما سولت لكم أنفسكم وزينت لكم وحببت إليكم ارتكاب الذّنوب والمحرمات، فقد نلتم غضب الله بما ارتكبتم، وستدخلون وتخلدون في نار جهنم وعذاب الله يوم القيامة إلى ما لا نهاية[2].

وعلى مدار تاريخ البشرية لم يُعرف من هم أشد سوءً وأقل أدبًا في التّعامل مع الله من اليهود، وتاريخهم على ذلك يشهد، فقد نسبوا إليه البخل والفقر والولد –تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا– قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ...﴿٦٤﴾﴾ [المائدة: ٦٤]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ...﴿٣٠﴾﴾ [التوبة: ٣٠]

والتّاريخ اليهودي الأسود دموي بكل ما تحمل الكلمة من معنى، فقد سفكوا أطهر الدّماء وأشرفها، فقتلوا أنبياء الله ورسله، وانتهكوا الحرمات دون أدنى ذمة أو ضمير، وبذلك يكونوا قد ارتكبوا أبشع الجرائم وأفظعها وأشنعها، وهذا يعطينا دلالة واضحة أن هؤلاء قوم لا أمان ولا عهد لهم، لا تجوز موالاتهم ولا مداهنتهم. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ...﴿١٥٥﴾﴾ [النساء: ١٥٥]

---

[1] الزّمخشري، **الكشاف**، ج1/ص447.

[2] الطّبري، **جامع البيان**، ج10/ص496 – ص497.

المسألة الثّالثة: الخزي والعذاب لمن ينكر البعث يوم القيامة.

يبقى العبد عزيزًا طالما حافظ على علاقته مع الله بكثرة الطّاعات، فإن حاد عن طريق الحق واتبع سُبل الغواية والضّلال، ومن ذلك إنكار أمور الدّين وخاصة المعلومة بالضّرورة منها وأمور الغيب كيوم القيامة استحق بذلك العقوبة والعذاب والخزي في الدّارين. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٠﴾ [الحج: ٩ – ١٠] جاءت هذه الآية الكريمة معطوفةً على قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ ... ٥﴾ [الحج: ٥]

والمعنى: يا أيها النّاس إن كنتم في ريب وشك من أمر حصول البعث فاعلموا أن هناك أدلة واضحة وبراهين دامغة ساطعة تزيل عنكم ذلك، فالناس بعد هذا البيان والتّفصيل والتّوضيح، ينقسمون إلى فريقين: فريق يؤمن بهذه الدّلالة والأدلة يقينًا فلا يبقى لديهم أدنى ريب، وفريق من النّاس يماطل ويجادل في الله على ضلال، بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، وهؤلاء هم أئمة الشّرك ورؤوس الباطل وزعماء الضّلال[1]، وقد وصف الله المعرض عن طريق الحق والخير، المجادل عن الباطل والضلال وأهله، بأنه ثاني عطفه وذلك لما هو متصف به من التّكبر والعناد والتّبختر، وأصل ذلك أن العرب تقول: جاءني فلان ثاني عطفه: في حال جاء متبخترًا من الكِبر[2]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٧﴾ [لقمان: ٧] ويأتي هذا المعرض المتكبر لاويًا عنقه إعراضًا عن الله ورسوله وأحكامهما، ولاويًا عنقه عنادًا وكبرًا عن الاستجابة لأوامر الله ورسوله، وقوله تعالى: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ والمقصود بذلك أن عادة الكفار كانت الصّد عن سبيل الله، فيمنعون من أراد الدّخول في الإسلام بإلقاء الشّبهات أمامهم، وتقديم الإغراءات وتزيين الشّهوات لهم، ودعوتهم إلى تفضيل الحياة الدّنيا على الآخرة، وإخبارهم أن هذا خير لهم مما يدعو إليه النّبي صلى الله عليه وسلم[3]، ﴿ذَٰلِكَ بِمَا **قَدَّمَتۡ** يَدَاكَ﴾ أي: بسبب ذنوبك ومعاصيك التي اجترأت على فعلها غير مكترث بشريعة الله، فكانت النّتيجة

---

(1) ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج206/17.

(2) الطّبري، **جامع البيان**، ج18/ص573.

(3) الماوردي، **النّكت والعيون**، ج4/ص10.

الحسرة والنّدامة يوم القيامة على ما فرط في حقوق الله تعالى لدرجة يتمنى فيها العودة للدنيا ليفعل صالحًا ينفعه في الآخر، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي **قَدَّمۡتُ** لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ ﴾ [الفجر: ٢٤]

<u>الفصل الثَّالث: صفات المتقدمين في القرآن الكريم.</u>

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أفضل صفات المتقدمين.

المبحث الثَّاني: أقبح صفات المتقدمين.

المبحث الثَّالث: المتقدمون وجزاء أعمالهم في الدُّنيا والآخرة.

توطئة.

يستعرض هذا الفصل صفات المتقدمين في القرآن الكريم، فيوضح أفضلها وأحسنها، ليتخلق بها الإنسان المؤمن، ويشرح أقبحها ليحذر المؤمن منها ويتجنبها، ويبين جزاء الله للمتقدمين على أعمالهم في الدّنيا والآخرة.

المبحث الأول: أفضل صفات المتقدمين.

إن من أهم الأمور التي تؤدي إلى تطور البلاد وازدهارها، هو حسن الإدارة المالية لمواردها، خاصة في وقت الشّدائد والصّعوبات، مما يحافظ على تماسك الدّولة وقوتها، وانتعاش اقتصادها وعدم ركوده، وهذا مما تميز به سيدنا يوسف عليه السّلام، خلال الأزمة الاقتصادية التي عصفت ببلاد مصر في وقته آنذاك، فكان قدوة حسنة لمن جاء بعده في هذا المجال.

الإدارة الاقتصادية في وقت الأزمات.

إن عصب استمرار البلاد هو الحفاظ على قوت العباد، عبر تأمين اقتصاد قوي، وذلك يكون من خلال الإدارة النّاجحة لموارد الدّولة بنزاهة وشفافية، بعيدًا عن الفساد، وقد تجلى ذلك واضحًا في قصة سيدنا يوسف عليه السّلام.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا **قَدَّمۡتُمۡ** لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ٤٨ ﴾ [يوسف: ٤٨]

يخبر الله تبارك وتعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السّلام، أنه من بعد انتهاء السّنوات السّبع التي امتازت فيها الأرض بالخصب والخير والبركة والزّرع والعطاء، وبعد انتهاء حالة الرّخاء والازدهار والتّقدم والتّطور، ستأتي سنوات سبع أخرى تتأخر فيها الأحوال فتسود خلالها الشّدة والجدب والقحط والفقر والفاقة، فتأكل هذه السّنوات ﴿مَا **قَدَّمۡتُمۡ** لَهُنَّ﴾، أي: ما قدمتموه وما قمتم بجمعه في السّنين السّبعة الخصبة السّابقة من الطّعام والأقوات الضّروية لاستمرار الحياة بصورتها الطّبيعية.

ومن اللطائف وصفَ الله سبحانه وتعالى السّنين بأنهنّ ﴿يَأۡكُلۡنَ﴾ وذلك على سبيل المجاز، والمقصود أن أهل تلك البلاد يأكلون فيهنّ، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ٤٨ ﴾ أي: إلا يسيرًا مما تحرزون وتخبؤون وتدخرون[1]، ومما ذُكر في بداية السّنوات السّبع الشّداد أن سيدنا يوسف –عليه السّلام– كان يضع الطّعام الذي يكفي لشخصين، فيعطيه إلى رجل واحد فيأكل جزءً منه، حتى جاء يوم فقدم له ذات الكمية فأكلها كلها، فقال يوسف: هذا أول يوم من سنوات السّبع الشّداد[2]، فالإنسان إن لم يكن طعامه من فأسه،

---

[1] الطّبري، **جامع البيان**، ج16/ص127.

[2] الماوردي، **النّكت والعيون**، ج3/ص44.

فلن يكون قراره من رأسه، لذا فالقوة الاقتصادية لأي فرد أو جماعة أو دولة، هي عامل أساسي وخطوة مهمة نحو تحقيق الحرية الفكرية والاستقلالية، والتّحرر من قيود التّبعية، وتوزيع الموارد المالية في عدة مشاريع، خير من وضعها في مكان واحد، فوضع البيض في سلة واحدة لا يشير إلى أي ذكاء أو تخطيط اقتصادي استراتيجي، إضافة إلى أهمية الادخار تحسبًا لأي ظروف صعبة قد لا تكون ضمن التّوقعات أو الخطة المرسومة، فمن لا يحذر لا يَسلم، وقد خدم سيدنا يوسف عليه السّلام أهل مصر في أعز ما يحتاجون، ألا وهي لقمة العيش، والحفاظ على اقتصاد الدّولة، فأصبح عزيزها، وحفظ أهلها له الفضل، وهذا هو التّقدير الذي يدفع العامل لأن يبذل دون أن يذبل، ويمنح كل ما لديه لخدمة المكان الذي هو فيه، وهذه من أهم صفات القيادة والإدارة النّاجحة.

المبحث الثَّاني: أقبح صفات المتقدمين.

لا يقتصر مفهوم التّقدم على الجانب الإيجابي، بل يشمل الجانب السّلبي أيضًا، فكما أن هناك تقدم في الخير والعطاء، هناك تقدم وسير في طُرق الشّر والضّلال، ومن أبرز مظاهر ذلك كان الإنحراف عن سبيل الهداية، والغرق في مستنقع المعصية والرّذيلة.

المسألة الأولى: الإعراض عن طاعة الله ظلم للنفس في الدّنيا والآخرة.

إن من أشد النّاس ظلمًا لأنفسهم، من أبصر طريق الهدى ثم فضل العمى، واستحب الدّنيا على الآخرة، فأصبحت قلوبهم مغلقة كالكأس المقلوب لا تدخله أنوار الهداية، ولا يستجيب لنداء الحق.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا **قَدَّمَتْ** يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الكهف: ٥٧]

أكثر النّاس ظلمًا لنفسه، شخصٌ يسر الله له سبيل الهدى، فوجد من ينصحه ويوجهه ويرشده، فذُكر بآيات الله، فكانت سبيله ودليله إلى طريق الهدى والرّشاد والنّجاة، لكنه أبى إلا أن يبقى غارقًا في مستنقع الرّذيلة والضّلال، فأعرض عن طاعة الله، وبقي يسير مغمضًا العينين ومغلقًا القلب نحو طريق الشّر والهلاك، ﴿وَنَسِىَ مَا **قَدَّمَتْ** يَدَاهُ ۚ﴾ أي: تناسى وهو عالم بما أسلف من الذّنوب، وارتكاب الموبقات المهلكة، فلم يرتدع ولم ينزجر ولم يتب ولم يعد إلى الله تعالى[1]، والنّسيان هنا بمعنى التّرك والتّغافل والتّشاغل والإهمال واللامبالاة وعدم الاكتراث إلى ما صدر منه بسبب كفره المتقدم، وعدم التّفكير في عواقبه ونتائجه[2]، بل زاد على ذلك أن جادل بالبطال عن الباطل، وأصر على الاستهزاء بالحق وأهله[3]، وظلم الإنسان لنفسه هو من أشد وأعجب أشكال الظّلم، فهو يقود نفسه نحو الهلاك عن تعمد وسابق علم وإصرار وترصد، يسير نحو النّار بقدميه وهو عالم بما ينتظره، يقرأ الآيات التي تحذره وتنذره من سوء العاقبة، ولكنه يتجاهل ويغفل عن ذلك، ولا يحذر من وقوعها، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ يوضح ما ترتب على هذه الغفلة، ويجلي الصّورة على حقيقتها، فالله طبع وختم على قلوب هؤلاء الكفار والمنافقين،

---

(1) الطّبري، **جامع البيان**، ج18/ص51.

(2) القِنّوجي، **فتحُ البيان**، ج8/ص72.

(3) الألوسي، **روح المعاني**، ج8/ص286.

جزاءً لهم بما فعلوا وأعرضوا، فالختم على القلب هو نتيجة الإعراض، وليس الإعراض هو نتيجة الختم، وفي ذلك نفي للظلم عن الله تبارك وتعالى، فهم استحقوا ذلك بما فعلوا، لذا فالآية تفيد معنى التعليل بالمآل[(1)]، وقد امتنع هؤلاء عن الامتثال لأوامر الله، لظنهم أنهم على الحق، ويسيرون في طريق الصّواب، لكن الحقيقة كانت خلاف ذلك فقد قادوا أنفسهم إلى العذاب، فكان حالهم يقتضي التّأسف عليهم[(2)]، فقد حرموا من الهداية إلى الأبد؛ لشدة ما كان منهم من عناد وإعراض عن أسباب الهدى، وسعيهم الحثيث باتجاه أسباب الضّلال[(3)].

فالله لم يترك للنّاس عذرًا يقدمونه، أو مسوّغًا يسوقونه، في سبيل رفضهم للإيمان بدين الله تبارك وتعالى، فقد ضرب لهم الأمثال، قَالَ تَعَالَى:﴿ ... وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحشر: ٢١] وأوضح لهم الحقائق، وأنزل عليهم الكتب، وأرسل إليهم الرّسل مبشرين ومنذرين، لكن لم يكن ذلك ليغير حالهم أو يبدل واقعهم، قَالَ تَعَالَى:﴿ ...إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ...﴿١١﴾ ﴾ [الرعد: ١١] وسبب ذلك هو عنادهم وتعنتهم وإصرار على المضي في طريق الكفر.

وطبيعة الإنسان أنه كثير الجدل، قَالَ تَعَالَى:﴿ ... وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [الكهف: ٥٤]

وقليل العمل، باحث عن الخصام وكثرة الكلام، يُعرض عن اتباع الحق، ويهرول في طريق الباطل، لذا جاء الرّسل ليحذروهم وينذروهم ويبشروهم، دون إجبار على دخول الدّين، قَالَ تَعَالَى:﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ... ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] فترك للإنسان حرية الاختيار بين طريق الحق وطريق الباطل، على أن يتحمل الإنسان مسؤوليات القرار الذي اتخذه وتبعاته، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ... ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف: ٢٩]

فمن يعرض عن ذكر الله تبارك وتعالى فقد توعده الله بالعذاب في الدّنيا والآخرة، والحرمان من نور الهداية والرّشاد جزاءً له بما كسب. قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه: ١٢٤]

---

(1) ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج15/ص355.

(2) ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج3/ص525.

(3) الزّمخشري، **الكشاف**، ج2/ص730.

المسألة الثّانية: القنوط من رحمة الله بسبب الابتلاءات.

إن هذه الحياة الدّنيا هي دار ممر، والآخرة دار مستقر، فمن الطّبيعي أن تكون الدّنيا مليئة بالاختبارات والابتلاءات ليميز الله الخبيث من الطّيب، ويأخذ كُلٌ منهم جزاءه المستحق يوم القيامة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ٣٦ ﴾ [الروم: ٣٦]

عندما يكرم الله الإنسان بالعافية والسّعة والنّعمة والمطر والأمن والدّعة في الأموال والأبدان، فإن من عادته وطبيعته أن يفرح بما أصابه، لكن إن وقع عليه خلاف ذلك من قحط وفقر وفاقة وجدب وبلاء وعقوبة وضيق في الأموال وألم في الأبدان، نتيجة ارتكابه المحرمات وإقدامه على انتهاك المحظورات سيئة، ينقلب حال فيصاب باليأس من تحصيل الفرج والرّحمة(1)، فيترك ما فرضه الله تعالى عليه، وينغمس في ملذاته وشهواته، وقد قطع الأمل بالنّجاة مما اقترف، وهذا خلاف حال المؤمنين الصّادقين؛ فإن من ديدنهم وعادتهم وطبيعتهم وشأنهم أن يشكروا الله عند إكرامه لهم بالنّعمة؛ واللجوء إليه سبحانه بالرّجاء عند وقوع الشّدة، مع الإشارة إلى أن دعاء اللسان بناءً على مجرد العادة دون حضور القلب، لا ينافي حصول القنوط في النّفس(2).

وقوله تعالى: ﴿فَرِحُواْ بِهَا﴾ أي: بطرًا وغطرسة وتعاليًا وتكبرًا وأنفة، وهو من الفرح المذموم، ويختلف عن الفرح المحمود حمدًا وشكرًا لله، المذكور في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨ ﴾ [يونس: ٥٨] وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ﴾ أي: وبلاء وضيق وحزن وشدة وعقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ وذلك بشؤم ونكد ذنوبهم ومعاصيهم، فيكون حالهم ﴿إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ٣٦ ﴾ أي: اليأس من رحمة سبحانه وتعالى وعدم الصّبر إلى حين قدوم الفرج(3).

ومن اللطائف: أن الله عند النّعمة لم يذكر سببًا موجبًا لها لأنه هو صاحب الفضل والمنة بها عليهم، لكن عند وقوع العذاب ذكر له سببًا؛ لأن الأول أي: النعمة زيادة في الإحسان، وفي الثّاني أي: العذاب تمام

---

(1) الطّبري، **جامع البيان**، ج20/ص102.

(2) القِنّوجي، **فتحُ البيان**، ج10/ص251.

(3) الألوسي، **روح المعاني**، ج11/ص43.

تحقيق العدل[1]، وهذا حال الإنسان عمومًا إلا من التزم بأمر ربه، وربطت الشّريعة على قلبه، وتأدب بحسن الأدب والخُلق مع الله عز وجل، فكان صابرًا عند الضّراء، وشاكرًا عند السّراء، ولم يكفر بالنّعمة، ولم يجحدها ولم ينكر فضل صاحبها عليه، ولم يقنط عند الابتلاء[2]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا **قَدَّمَتْ** أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الشورى: ٤٨]

فحال الإنسان الجاهل، المعرض عن طاعة الله، المنغمس في الشّهوات والباطل، أنه سهل الاستدراج، بطيء الاستدراك، يتعجل ولا يتمهل، يفرح بالنّعمة وينكر فضل صاحبها ويجحد كرمه عليه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ ﴾[فصلت: ٥١]

فإن أصابه الخير اطمئن، وإن أصابه الشّر يأس وفزع وجزع، فهو قليل الشّكر، كثير الشّكوى، فيلاقي جزاء ما قدم حسابًا كان عسيرًا. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾ [المعارج: ١٩ – ٢١]

المسألة الثالثة: الذّنوب والحلف كذبًا يؤدي إلى الإصابة بالمصائب.

الغاية النّبيلة، لا تبرر استخدام الوسيلة الخاطئة، فمن أراد أن يحصل على نتيجة إيجابية، لا بُد له أن يسير في الطّريق الصّحيح، كي لا يأتي بعد وقوع المصيبة فيسأل عن سبب حصولها ويقسم أنه لم يكن يقصد حدوثها.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا **قَدَّمَتْ** أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَـٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [النساء: ٦٢]

المنافق وإن لم يكن أعمى البصر، فهو أعمى البصيرة، لا ينكر منكرًا، ولا يعرف معروفًا، لا يستفيد من تجارب غيره، ولا يأخذ الدّروس والفوائد والعبر والعظات مما يحصل حوله، فتراه يكرر ذات الخطأ مرة تلو

---

(1) الرّازي، **مفاتيح الغيب**، ج25/ص101.

(2) ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج4/ص338.

مرة، وهكذا هو وكل من على شاكلته كلما أذنبوا وذهبوا إلى الطّاغوت يتحاكمون لديه، تأتيهم العقوبة من الله جزاء ما قدموا وفعلوا، لكن دون فائدة تُرجى أو نتيجة تُذكر أو حال يتغير، فهم لا يتوبون ولا ينيبون ولا يأوبون، وفوق ذلك يزعمون ويحلفون بالله كذبًا وزورًا أنهم لم يهدفوا إلا للإصلاح والإحسان والتّوفيق بين الخصوم[1]، وفي مَعرض التّأكيد على نفاقهم وبيان حقيقتهم يخبرنا الله أنهم كانوا في أول الأمر يحاربون دينه ويصدون النّاس عن سبيله وعن النّبي أشد الصّدود، ثم بعد ذلك يأتون بكل خبث ومكر يحلفون بالله كذبًا وبهتانًا بقلوبهم قبل ألسنتهم[2]، لكن أنّى لهم الهرب مما أعد الله لهم، فعاقبة أمرهم ستكون وبالًا عظيمًا وخسرانًا مبينًا وعذابًا أليمًا وحسرة شديد، وحينها لن يستطيعوا ولن يقدروا على أن يدفعوا أمر الله عندما ينزل بهم، فيا أهل الإيمان اصبروا وصابروا ورابطوا واعلموا أن العاقبة للمتقين[3]. وقد جعل اللهُ من مستلزمات كمال الإيمان وصحته، الكفر بحكم الطّاغوت، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [النساء: ٦٠] والالتزام والقَبول بأحكام الله ورسوله وتشريعاته في معاملات الحياة كافة، وخاصة في وقت الخصومات والنّزاعات، لما امتازت به تشريعات الوحي من إقامة الحق والعدل، ورفض الظلم، وإعادة الحقوق لأصحابها، وهذا من مقتضيات وأهداف الشّريعة الإسلامية في عمارة الأرض، ومن شروط صحة الإيمان، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥]

المسألة الرّابعة: إقامة الله الحجة على النّاس بإرسال الأنبياء والرّسل عليهم السّلام.

عند وقوع العذاب على أهل الكفار والنّفاق، يحاولون إلقاء اللوم على الله تبارك وتعالى، فيدّعون أنهم كانوا سيؤمنون في حال إرسال الرّسل إليهم، لكن الله أقام الحجة عليهم بإرسال الرّسل، فانقطعت حيلتهم، وقد علم الله أنه لو أعادهم إلى الدّنيا، لعادوا إلى ما كانوا عليه من المعاصي والضّلال.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا **قَدَّمَتْ** أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [القصص: ٤٧]

---

(1) الطّبري، **جامع البيان**، ج8/ص514.

(2) الرّازي، **مفاتيح الغيب**، ج10/ص122.

(3) القِنّوجي، **فتحُ البيان**، ج3/ص164.

أرسل الله تبارك وتعالى النّبي محمدًا صلى الله عليه وسلم بشيرًا ونذيرًا، كي يقيم الحجة على النّاس، ولا يكون لهم حجةٌ على الله، حينما يوقع عليهم العذاب بما كسبت إيديهم من المعاصي واقترفت من الآثام، وبالتّالي تنقطع حجتهم، ويخيب مسعاهم، فلا يستطيعون الدّفاع عن أنفسهم، ولولا ذلك لتقولوا على الله الأقاويل، ولقالوا لماذا لم ترسل إلينا رسولًا يوجهنا ويرشدنا ويهدينا ويعلمنا قبل أن تنزل بنا عقابك وعذابك، فلو فعلت ذلك لتغير الأمر، واختلف الواقع، وتبدل الحال، ولَكُنا من أهل الإيمان والتّقوى والجهاد والمجاهدة والطّاعات الملتزمين بأوامرك، المجتنبين لنواهيك[1]، وقد احتج بهذه الآية من قال: الإيمان والشّكر هو واجب عقلي؛ لأن الله تبارك وتعالى قال: ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ وذلك يدل على أن العقاب مقررٌ وجوبًا على فاعل الجريمة حتى قبل بعثة الرّسل، وإنما يكون ذلك مستحقًا بالعقل[2]، ومن دلائل طلبهم إرسال الرّسل شدة الخوف من العقاب المحتوم المنتظر، وفي هذا شهادة منهم واضحة المعالم والأركان على أنفسهم باستحكام الكفر عليهم ورسوخه فيهم نتيجة ضلالهم وعنادهم واستكبارهم، وما طلبهم إرسال الرّسل لهم إلا محاولة أخرى من محاولات المماطلة، وليس من منطلق النّدم على فعل الذّنب ولا طلبًا للهدى والحق والرّشاد، وفي بيان ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿... وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝٢٨﴾ [الأنعام: ٢٨].

وذكر الله ما صدر من أعمال الأيدي، وإن كان حقيقة ما فعلوه ضمن أعمال القلوب، وهذا يندرج تحت باب تصيير الأقل تابعًا للأكثر، وتغليب الأكثر على الأقل، فالأيدي هي الآلة المستخدمة في فعل الأعمال[3].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١٨ ﴾ [الحشر: ١٨]

وقد أعطى اللهُ تبارك وتعالى النّبي صلى الله عليه وسلم عددًا من المعجزات المادية المحسوسة، كانشقاق القمر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ ﴾ [القمر: ١] وغيرها من المعجزات الباهرة الدّالة على صدق النّبي صلى الله عليه وسلم، والتي كان من أعظمها المعجزة الخالدة الكبرى (القرآن الكريم) فكانت هذه المعجزة من أقوى الأدلية الفكرية العقلية المثبتة لصدق نبوة ورسالة سيد الخلق صلى الله عليه وسلم، حيث عجز

---

[1] الطّبري، **جامع البيان**، ج19/ص587

[2] الطّبري، **جامع البيان**، ج19/ص587

[3] الزّمخشري، **الكشاف**، ج3/ص419.

الخلق أجمعين من الإتيان بمثلها أو بمثل جزء منها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٣ – ٢٤]

ولكنهم رغم هذه المعجزات المادية والعقلية رفضوا التّصديق والإيمان وأصروا على الكفر والطّغيان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿...أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ [الملك: ٨ – ٩]

وإرسال الله تبارك وتعالى للنبي صلى الله عليه وسلم، سيد الخلق وحبيب الحق، البشير النّذير، الشّفيع المُشفع يوم القيامة، كان بمثابة الرّحمة المهداة للعالمين في الدّارين، فالبشرية لأجل صلاح أحوالها هي أشد ما تكون بحاجة إلى وجود النّبي صلى الله عليه وسلم ليحل لها مشاكلها كافة، وهو يشرب كأسًا من ماء زمزم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

المبحث الثَّالث: المتقدمون وجزاء أعمالهم في الدُّنيا والآخرة.

لا بُد لكل من فعل أمرًا أن يُجازى عليه، فالإحسان بالإحسان، والإساءة بالعقوبة، ولا يظلمُ الله أحدًا مثقال ذرة، ولا حتى حبة من خردل، فهو صاحب العدل المطلق، فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره.

المطلب الأول: مغفرة الذّنوب والهداية إلى الطّريق المستقيم.

إن من أعظم النّعم التي يسعى العبد إلى الفوز بها مغفرة الله لذنوبه والهداية إلى طريق الحق والخير، لذا فهو في كل صلاة يسأل الله تعالى أن يهديه إلى الصّراط المستقيم، فليس بعد ذلك إلا الجنة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ ﴾ [الفتح: ٢]

عندما أكرم الله النّبي صلى الله عليه وسلم بالفتح وأنعم عليه بالنّصر على من حاربوه والظّفر ممن عادوه وآذوه وهجروه، كان منه الحمد والشّكر على هذه النعمة العظيمة، والمنة الكريمة، والعطية الجزيلة، فزاده الله من فضله، وأغدق عليه من كرمه، بأن غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، من قبل الفتح ومن بعده[(1)]، وما تقدم قبل النّبوة وما تأخر بعدها، وما وقع وما لم يقع بعد، على سبيل الوعد الإلهي بأن الذّنب مغفور قبل أن يحصل إذا حصل، وما تقدم قبل نزول هذه الآية وما تأخر بعدها[(2)]، فكان اجتماع نعمة المغفرة والفتح سويًا من الخصائص التي امتاز بها النّبي صلى الله عليه وسلم، تشريفًا وتعظيمًا وتقديرًا وتكريمًا له، لا يشاركه فيها غيره[(3)]، وفي ذلك إتمام النّعمة، وسعادة الدّنيا والآخرة[(4)]، ومعنى مغفرة الذّنب، أي: ما وقع منه على سبيل خلاف الأولى، أما عن كون تسميته ذنبًا، ففي ذلك بيان واضح لقدر ومكانة النّبي وعظمته، فما كان خلاف

---

(1) الطّبري، **جامع البيان**، ج22/ص197.

(2) الماوردي، **النّكت والعيون**، ج5/ص310.

(3) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدّمشقي، ت: 774هـ، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسين شمس الدّين، ج7/ص304، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1419هـ – 1998م.

(4) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج16/262.

الأولى لا يليق بمقامه، فيزال من صحيفته وإن لم يدخل في باب الذّنب[1]، والمقصود بالهداية إلى الصراط المستقيم أي: دين الإسلام العظيم، ويهديك أي يهدي بك النّاس إلى طريق الخير، والنّجاة من طرق الشّر[2].

وقد عَصمَ اللهُ الأنبياءَ جميعًا من ارتكاب كبائر الذّنوب والموبقات؛ لأنهم محلّ الاقتداء والأسوة الحسنة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾ [الأحزاب: ٢١] فلا يصح لمن كان إنسانًا عاديًا أن يخاف قوله فعله، ومطابقة أقوال الأنبياء لأفعالهم هو من باب أولى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣]

وما صدر عن الله تبارك وتعالى من عتاب للنبي صلى الله عليه وسلم، في بعض المواقف لم يكن على ذنب فعله، بل هو من باب خلاف الأولى، لكن سماه الله ذنبًا لبيان أن حتى خلاف الأولى لا يليق بمكان ومكانة النّبي صلى الله عليه وسلم، جريًا على قاعدة أن حسنات الأبرار، سيئات المقربين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾ [عبس: ١ – ٢]

وأمام الكرم الرّباني والعطاء الإلهي والإغداق العظيم، لا يملك العبد سوى أن يشكر الله على ما أنعمه وتفضل به عليه، ليكون بذلك مؤديًا لحق الله، ففي الشّكر البركة والخير والزّيادة والعطاء والإحسان، أما خلاف ذلك ففيه الخسران والحرمان، فمن كان في نعمة ولم يشكر سُحبت منه وهو لا يشعر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم: ٧]

المطلب الثّاني: الجزاء السّلبي للمتقدمين على أعمالهم.

إن الله غفور رحيم، كريم حليم، لكنه في ذات الوقت شديد العقاب، فلا يحق لأحد أن يغتر بِحلمِ الله عليه، أو ستره له، فقد تأتي لحظة ينفد فيها رصيد العبد من السّتر والخير، فتكون العقوبة في انتظاره جزاءً عادلًا له لما اكتسب من الإثم واقترف من الخطيئة.

---

[1] القِنّوجي، **فتحُ البيان**، ج13/ص88.

[2] البغوي، محيي السّنة، أبو محمد الحسين بن مسعود، ت: 510هـ، **معالم التّنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: محمد عبد الله النّمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، ج7/ص298، دار طيبة للنّشر والتّوزيع، الرّياض – السّعودية، ط4، 1417هـ – 1997م.

المسألة الأولى: طاعة الأتباع في معصية الله تؤدي إلى دخول النّار.

لقد كان فرعون صاحب شخصية قيادية، فكان قائدًا لقومه في الحياة الدّنيا، وكذلك هو في الآخرة، لكنها قيادة بعيدة عن منهج الله تبارك وتعالى، فكانت نتيجتها أن أدخل نفسه ومن اتبعه النّار يوم القيامة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ ﴾ [هود: ٩٨]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَقْدُمُ ﴾ المقصود هنا هو فرعون، والمعنى أنه يسيرًا متقدمًا ﴿قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾، فيمضي بهم نحو دخول النّار، ويذوقون عذابها ويصلون سعيرها، وفي وصف هذا المصير يقول تعالى: ﴿ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾، أي: ساء المكان الذي يدخلونه، والمصير الذي يصيرون إليه[1]، وتقدمُ فرعون لقومه وسبقه لهم في ﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ كانت نتيجته ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ﴾ أي: يتبعه قومه، ويسيرون من خلفه فيدخلون معه إلى عذاب النّار[2]، وبذلك نرى أن فرعون كان قدوة لقومه في طريق الضّلال عندما كانوا في الدّنيا، فأدخلهم إلى البحر وأغرقهم، وكذلك الأمر كان قائدهم في الآخرة فقادهم إلى النّار وأحرقهم، فكان سبب خسرانهم في الدارين.

ومن اللطائف لماذا لم يقل الله تبارك وتعالى: يقدم قومه (فيوردهم) أي: بصيغة المستقبل؟ وجاء اللفظ في الآية بصيغة الماضي، ﴿فَأَوْرَدَهُمُ﴾ والجواب على ذلك: لأن الماضي يفيد حدوث أمر مقطوع به، فاستخدمت صيغة الماضي للدلالة على تأكيد حدوث الأمر، فهو يقدمهم فيوردهم النار لا محالة دون أدنى شك في وقوع الأمر، وهذا من عظيم بلاغة وفصاحة القرآن الكريم وإعجازه البياني[3].

فاحرص أن تكون يدًا في الحق، فذلك خيرٌ لك من أن تكون رأسًا في الباطل، وأن تكون جنديًا في صفوف جيش الهدى، أفضل من أن تكون قائدًا في جيش الضّلال، فالمسألة ليست بالمسميات ولا بالألقاب، فعملك يتحدث عنك في ملأ السّموات وإن لم يُذكر اسمك بين أهل الأرض، وأنبياء كثر من قبلك لست خيرًا منهم، قال الله عنهم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ...﴿٧٨﴾﴾ [غافر: ٧٨]

---

[1] الطّبري، **جامع البيان**، ج15/ص466.

[2] القِنّوجي، **فتحُ البيان**، ج6/ص240.

[3] الزّمخشري، **الكشاف**، ج2/ص426.

ففرعون كان زعيمًا في قومه، لكنه أوردهم مهالك الدّنيا ونار الآخرة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٥٤ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥٥ ﴾ [الزخرف: ٥٤ – ٥٥]

فالحذر الحذر من اتباع رؤوس الضّلال، والحذر أن نكون منهم، فأشد النّاس خسارة من جُمع له بين عذاب الحياة الدّنيا وعذاب الآخرة، وزيد له فوق ذلك عذاب إضافي سواء أكان لنصرته الظّالمين أو لكونه ظالمًا للمستضعفين. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ١٣ ﴾ [العنكبوت: ١٣]

المسألة الثّانية: طلب الأتباع مضاعفة عذاب المتبوعين في النّار يوم القيامة.

في يوم القيامة تزول الألقاب والمناصب، وتتكشف الحقائق، ويتبرأ أهل الظّلم أتباعًا ومبتوعين من بعضهم البعض، كُلّ منهم يحاول النّجاة، والتّهرب من المسؤولية، وإلقاء اللوم على الطّرف الآخر والمطالبة بمعاقبته.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ٦٠ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ٦١ ﴾ [ص: ٦٠ – ٦١]

﴿قَالُواْ﴾ قيل المقصود بأصحاب القول هنا هم الفوج الأول زعماء الشّرك وأئمة الكفر والضّلال الذين شاركوا في غزوة بدر، والفوج الثّاني هم الجند والأتباع الذين جاؤوا معهم، ولكن الرّاجح والظاهر من سياق الآية أنها تشمل الأتباع والمتبوعين في كل زمان ومكان على العموم، دون تخصيص، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السّبب.

أما عن قول الأتباع للمتبوعين في ذلك الموقف العظيم يوم القيامة، فيدعون عليهم فيقولون لهم: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ﴾ أي: فليضيق الله عليكم، ولا اتسعت الأماكن بكم ولا لكم[1]، فالعرب تقول: مرحبًا أي: أتيت على الرّحب والسّعة، وعكس ذلك بالنّفي (لا مرحبًا بك)، أي: لا رحبت بك الأرض، ولا رحبت عليك[2]،

---

[1] الطّبري، **جامع البيان**، ج21/ص231.

[2] البغوي، **معالم التّنزيل**، ج7/ص99.

ويبرر الأتباع دعاؤهم على قادتهم في الدّنيا بقولهم: ﴿أَنتُمۡ **قَدَّمۡتُمُوهُ** لَنَاۖ﴾ **والتّقديم**: جعل الشيء قُدَّام غيره، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ ...ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ١٨١ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ... ﴾ [آل عمران: ١٨١ – ١٨٢] **ومعنى تقديم العذاب** لهم أي: جَعلهُ أمامهم فيجدون العذاب عند الوصول إليه، ويذوقونه ألمه عند دخوله،
أما العذاب فقد جُعل مقدمًا، علمًا أن المُقَدمَ هي أفعالهم وأقوالهم وأعمالهم التي بسببها استحقوا العذاب، وفي ذلك مجاز عقلي إضافي في المفعول، فكانت النّتيجة اجتماع مجازين عقليين في قوله تعالى: ﴿ **قَدَّمۡتُمُوهُ**﴾[1].

وبعد ذلك يدعو أتباع الظالمين والطّغاة يوم القيامة فيقولون: ﴿رَبَّنَا مَن **قَدَّمَ** لَنَا هَٰذَا﴾ أي: يقصدون من كان السّبب في دعوتهم إلى العمل الذي يوجب لهم النّار التي دخلوها، وسُكنى المنزل الذي سكنوه منها. ويقصدون بقولهم ﴿هَٰذَا﴾: أي العذاب الذي وقعوا فيه، ﴿فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ٦١ ﴾ يقولون: فضاعف له العذاب في النّار زيادة إضافية على ما هو فيه من العذاب الأصلي، جزاءً له على إضلاله لنا في الدّنيا[2]، ومعنى عذابًا ضعفًا في النّار أي الحيات والأفاعي والعقارب[3]، وفي قولهم هذا إعلان خصومة لرؤسائهم، وتضرع إلى الله – عز وجل – أن يضاعف عذاب رؤسائهم، لأنهم السّبب في إغوائهم، وقيل المقصود بالرؤوساء إبليس وقابيل وهو الأنسب[4].

المسألة الثّالثة: إحباط أعمال الكافرين في الآخرة.

إن الأعمال التي تفتقد إلى شروط الصّحة المتمثلة في موافقتها لشرع الله تعالى، إضافة إلى إخلاص النّية لله، مصيرها البُطلان بأن يجعلها الله هباءً منثورًا كأنها لم تكن.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَقَدِمۡنَآ** إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣ ﴾ [الفرقان: ٢٣]

---

(1) ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج23/ص290.

(2) الطّبري، **جامع البيان**، ج21/ص231.

(3) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج15/ص224.

(4) الألوسي، **روح المعاني**، ج12/ص208.

كان من حال كفار العرب في الجاهلية أنهم يظنون فعلهم لبعض الأعمال الطّيبة، سيجلب لهم الخير والنّفع في الدّنيا، دون الآخرة؛ لأنهم لا يؤمنون بيوم القيامة ووجود البعث والحساب والجزاء والثّواب والعقاب، وبعضهم قال جدلًا على فرضية واحتمال حصول البعث، نحن في أمان فهذه الأعمال الصّالحة ستكون سببًا في إنقاذنا ونجاتنا عند وقوع ذلك، فقطع الله عليهم الطّريق، وبدد آمالهم وجعلها أوهامًا، وأخبرهم أن أعمالهم لن يكون لها وزن أو أي قيمة يوم القيامة[1]، ويصور الله هذا المشهد بقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٣ – ١٠٥]

وتأويل قوله تعالى: ﴿ **وَقَدِمْنَآ**﴾ أي: عمدنا[2]، قصدنا وجئنا وأتينا، وفي ذلك إشارة واضحة إلى عظمة الحساب يوم القيامة[3]، وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ﴾ أي: ما فعلوه من أعمال الخير والبر حسب زعمهم وظنهم خلال حياتهم الدّنيا[4]، فكانت نتيجة هذه الأعمال التي حسبوها ذات شأن عظيم أن جعلها الله تبارك وتعالى:﴿ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ **والهباء**: هو الشّيء الذي يُرى على هيئة غبار عند دخول أشعة الشّمس من النّافذة، فيحسبه النّاظر إليه غبارًا، لكن في الحقيقة لا شيء، لذا يحاول إمساكه لكن دون جدوى، مثله مثل أعمال الكفار ظنوا أن أعمالهم في الدّنيا ستشفع لهم يوم القيامة، فإذ بهم لا يجدونها في الآخرة، كأنهم لم يفعلوها في الدّنيا[5]، وفي ذلك قمة الألم والحسرة والخيبة والخذلان، فيصبح لسان حالهم وأسمى أمنياتهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ...يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا **قَدَّمَتْ** يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النبأ: ٤٠]

والمنثور: وصف للهباء بمعنى أنه يكون متناثرًا متفرقًا مبعثرًا متشتتًا غير منتظم، وفي ذلك إشارة إلى ما فيه من الوضاعة وزوال القيمة وانعدام الأهمية وفقدان المكانة[6]، ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ ﴾ [الواقعة: ٥ – ٦]

---

(1) ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج19/ص8.

(2) البغوي، **معالم التّنزيل**، ج6/ص79.

(3) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج21/13.

(4) الرّازي، **مفاتيح الغيب**، ج24/ص451.

(5) الطّبري، **جامع البيان**، ج19/ص257.

(6) ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج19/ص8.

<u>الفصل الرّابع: مجالات التَّأخر في القرآن الكريم.</u>

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التَّأخر الزَّمني في القرآن الكريم.

المبحث الثَّاني: التَّأخر في المنزلة والشَّرف في القرآن الكريم.

المبحث الثَّالث: التَّأخر في الخير والشَّر في القرآن الكريم.

توطئة

يستعرض هذا الفصل مجالات التّأخر في القرآن الكريم، عبر الحديث عن التّأخر الزّمني، والتّأخر في المنزلة والشّرف، والتأخر في الخير والشّر.

المبحث الأول: التَّأخر الزَّمني في القرآن الكريم.

لقد اعتنى القرآن الكريم بالزّمن عناية فائقة، فأقسم الله تبارك وتعالى بالوقت في عددٍ من الآيات الكريمة، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على عظيم أهمية الوقت، فالعظيم لا يُقسم إلا بعظيم.

المطلب الأول: التّأخر الزّمني إلى يوم القيامة.

إن الله تبارك وتعالى يُمهل ولا يُهمل، فيعطي المذنب فرصة للتوبة والعودة إليه، واستدراك ما فاته من الخير، ويترك الظّالم يتمادى في ظلمه، ويزداد في طغيانه، وهو ليس بغافل عنه، إنما ليزداد الظّالم إثمًا فتزيد عقوبته.

المسألة الأولى: تأخير عقاب الله للظّالمين إلى يوم القيامة.

إن من مقتضيات علم الله تبارك وتعالى أن لا يغيب عنه مثقال ذرة في هذا الكون، ومن ذلك أفعال الظّالمين المجرمين، فالله عالم بهم، وليس غافلًا عنهم، ولكن يمهلهم ويؤخرهم إلى وقت معلوم لديه، يقتص منهم فيه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٢] يوجه الله تبارك وتعالى الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، بألا يجول في خاطره أو يَمر بباله ولو لحظة واحدة، أن الله غافل عما يفعله أهل الشّرك والكفر والنّفاق من قومه، فالله بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، عالم بأعمالهم ومسجلٌ لها، وقادر على محاسبتهم عليها، فهو يعلمها قبل وقوعها لكن كي يقيم الحجة عليهم[1] وتجمع هذه الآية بين التّهديد والوعيد للظالمين، والتّصبير للمظلومين والتّخفيف عنهم، وإن كان الخطاب في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ...﴾ موجهًا إلى النّبي عليه الصّلاة والسّلام، إلا أنه غير مراد بالنّهي، وإنما المقصود غيره ممن يمكن أن يظن مثل هذا الظّن السّيء الذي يحمل سوء أدب مع الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿تَشْخَصُ...﴾ أي: حدة النّظر من شدة الخوف والرّعب والفزع وفي هذا ربط بحال الشّخص المحتضر في لحظات الموت الأخيرة[2]، ومن المعلوم أن الله تبارك وتعالى يتنزه عن الغفلة والسّهو فكيف يمكن أن يظن النّبي صلى الله عليه وسلم به غير ذلك، والرّد على هذا السّؤال ببيان دلالة الآية فهي

---

[1] الطّبري، **جامع البيان**، ج17/ص28.

[2] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج3/ص343.

تؤكد على ما كان عليه النّبي صلى الله عليه وسلم من أنه لا يمكن إلا أن يحسب الله إلا عالمًا بكل ما كان ويكون وسيكون، ويمكن الرّد بطريقة أخرى بأن يكون معنى الآية: إياك أن تظن الله يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون، ولكنها معاملة المحاسب الرّقيب على كل صغيرة وكبيرة[1].

وفي الآية دلالة على وقوع يوم الحساب، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ فالظّالم إن لم يعاقب على ظلمه في الدّنيا، كان من تمام عدل الله أن يوجد يوم آخر خارج نطاق الدّنيا، يُقتص فيه من الظّالم، ويعود الحق إلى المظلوم، ولولا ذلك لكان الله غافلًا عن الظّلم الذي وقع، أو عاجزًا عن دفعه، أو راضيًا به، وكل ذلك مما لا يليق بل هو مستحيل في حق الله تبارك وتعالى، فثبت بذلك أنه لا بُد من وجود يوم القيامة ومحاسبة النّاس فيه على أعمالهم.[2]

فالله ليس غافلًا عما يفعله أهل الظّلم والعدوان؛ من محاربة لدينه وشريعته، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٨]

ولكنه يؤخر عقابهم إلى يوم الحساب ليزدادوا إثمًا فيزيد عذابهم ألمًا، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ ﴾ [فاطر: ٤٥]

لدرجة يتمنون فيها العودة إلى الحياة ليتوبوا من ذنوبهم ومعاصيهم ويقبلوا على طاعة ربهم لكن أنى لهم ذلك حينها. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الشورى: ٤٤]

---

[1] النّيسابوري، نظام الدّين الحسن بن محمد بن حسين القمي، ت:850هـ، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: الشّيخ زكريا عميرات، ج4/ص201، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط1، 1416هـ – 1995م.

[2] الرّازي، **مفاتيح الغيب**، ج19/ص108.

المسألة الثّانية: عدم تأخر يوم القيامة عن موعده.

لقد جعل الله ليوم القيامو موعدًا اختص بعلمه سبحانه وتعالى، وأخفى هذا الموعد عن باقي الخلق، كي يكونوا على استعداد دائم لملاقاة الله عز وجل، فيكثروا من فعل الطّاعات، ويجتنبوا فعل المعاصي والمنكرات.

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٩ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ۝٣٠ ﴾ [سبأ: ٢٩ – ٣٠]

يوجه الله الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم أن يبلغ النّاس بوقوع يوم القيامة وهو يوم آتٍ لا محالة، فإذا جاء موعده الذي حدده الله تبارك وتعالى، لا يمكن أن يؤخره بعدما جاء وشاهدتموه ليصبح معكم فرصة للتوبة والإنابة والاستغفار، ولن يقع عليكم العذاب قبل قدومه؛ لأن الله جعل لهذا العذاب موعدًا محددًا لا يؤخر ساعة ولا يُستقدم مثل ذلك[1] ومن اللطائف أن لفظ الوعد عادة يستخدم في الخير، و لفظ الوعيد عادة يستعمل في المكروه والشّدة، أما لفظ الميعاد فيستخدم لكلا الأمرين، وفي استخدام لفاظ الميعاد مناسبة تتناسق مع اختلاف أحوال النّاس فمنهم شقي ومنهم سعيد يومئذٍ[2] وفي قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أي: أن الكفار يشككون في مصداقية أهل الإيمان، فيطلبون منهم تحديد موعد ليوم الجزاء والحساب ليكون برهانًا على صدقهم، وهذا التّشكيك أو التّحدي لا يصدر إلا عن جاهل غير واعٍ، فمنذ متى يتطلب صدق الإخبار عن وقوع حدث، أن يكون المُخبِر عالمًا بوقت وقوعه، ومن اللطائف أن الله قدم الاستئخار على الاستقدام إشارة إلى أن ما ينتظرهم هو مِيعاد شدة وعذاب وعقاب سيقع عليهم ويتمنون حينها لو يؤخر عنه ساعة من الزّمن ولكان أيان لهم ذلك[3] ومن الأمور النّفسية التي ترتبط بها نفوس البشر أنها تكون معلقة تعلقًا عظيمًا وفي قلق شديد حينما يرتبط الأمر بوجود مهلة زمنية خاصة إن كان ما ينتظره يخاف وقوعه لذا قال تعالى: ﴿لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ أي: لا مجال لحصول التّأخير ولا يمكن أن يُطلب ولا احتمال للنّجاة؛ لأن مصدره إيقاعه هو الله تبارك وتعالى ذو القوة والقدرة والعظمة والعلم، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ۝٣٠ ﴾ أي: لا مجال للتقدم لحظة أو حتى أقل منها،

---

(1) الطّبري، **جامع البيان**، ج20/ص406.

(2) ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج4/ص420.

(3) ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج22/ص201.

ولا مجال لطلب ذلك أصلًا[1]، وسؤالهم عن موعد يوم القيامة، لم يكن بهدف طلب الهداية والإرشاد، إنما كان من باب التّكبر والعناد فكان مناسبًا أن يأتي الجواب على صيغة التّهديد والوعيد.[2]

فعقيدة البعث والحساب أكيدة، ويوم القيامة ثابت وقادم وموعده محدد في علم الله تبارك وتعالى، لا مجال لتقديمه أو تأخيره بأي شكل من الأشكال، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ۝٥ ﴾ [الحجر: ٥]

وقد اختص بمعرفة ذلك سبحانه وتعالى ولم يطلع أحدًا من خلقه على موعد ذلك اليوم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝١٨٧ ﴾ [الأعراف: ١٨٧]

المسألة الثّالثة: عدم تأخير موعد الموت عند انقضاء الأجل.

الدّنيا هي دار العمل، والآخرة هي دار الحساب والجزاء، فمن أراد أن يكون جزاؤه حسنًا، لا بُد له أن يبادر لفعل الأعمال الصّالحة خلال حياته، فلا مجال للعودة إلى الحياة الدّنيا للعمل مرة أخرى بعد انقضاء الأجل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١١﴾ [المنافقون: ١٠- ١١] يوجه الله تبارك وتعالى الخطاب لأهل الإيمان بأن ينفقوا ويقدموا مما أعطاهم الله، من قبل أن تأتي ساعة الموت فلا ينفع حينها النّدم على مضى، ولا التّحسر على ما فات، فيصبح لسان حاله يناجي طالبًا العودة إلى الحياة الدّنيا ليعمل صالحًا ويزكي ماله ويؤدي ما افترضه الله عليه[3] ومن معاني الصّلاح هنا: الحج، فما من أحد كان معه مال ولم يخرج زكاته ولم يحج ويحدث نفسه بذلك في حياته الدّنيا،

---

[1] البقاعي، أبو بكر إبراهيم بن عمر بن حسن الرّباط بن علي، ت:885هـ، **نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور**، ج15/ص507، دار الكتاب الإسلامي للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة – مصر، دط، دس.

[2] الألوسي، **روح المعاني**، ج11/ص318.

[3] الطّبري، **جامع البيان**، ج23/ص410.

إلا وسأل الله الرّجوع إلى الدّنيا بعد الموت ليعوض ما فاته من خير عظيم[1] والرزق الذي معهم وبين أيديهم هو من الله تبارك وتعالى، فهو صاحب المال، وما نسبه إليهم إلا نسبة ابتلاء واختبار، لذا أمرهم بالإعطاء والإنفاق، فإن أعرضوا عن ذلك سيجدون أنهم تركوا هذا المال لغيرهم، وتاركه هو المحاسب عليه، ولم ينتفع به أو يقدم منه شيئًا لنفسه يوم القيامة، وهذه من أعظم الكوارث التي لا يقع بها إلا أخسر الخاسرين وأحمق الحمقى،[2] ومن وجوه إنفاق المال الواجبة كالزّكاة والكفارات ونفقة أهل البيت والمماليك، وغيرها من الأمور النّافعة، والإنسان في ذلك مخير ومحاسب على اختياره[3]، قَالَ تَعَالَى:﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ٣٧﴾ [المدثر: ٣٧] ومن أبرز خصال أهل النّفاق، التّكبر ورفض النّصيحة والتّوجيه والإرشاد، ومن ثمَّ فالمال يكون نقمة على صاحبه إذا أشغله عن طاعة الله تبارك وتعالى وأداء ما عليه من الواجبات الشّرعية، وخاصة تعمد المماطلة في أداء فريضة حج بيت الله الحرام مع وجود القدرة على ذلك، فإن ذلك يؤدي إلى النّدم يوم لا ينفع النّدم على ما فات. قَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ ﴾ [المنافقون: ٩]

المسألة الرّابعة: تأخير عقاب إبليس إلى يوم القيامة.

منذ لحظة تكريم الله تعالى لآدم عليه السّلام بسجود الملائكة له، ورفض إبليس ذلك، فقد تعهد إبليس بإغواء وإضلال ذرية آدم إلى يوم القيامة، طالبًا من الله تعالى إمهاله طوال هذه الفترة.

قَالَ تَعَالَى:﴿ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٢﴾ [الإسراء: ٦٢]

أقسم عدو الله إبليس أن يستولي على ذرية آدم عليه السّلام ويقوم باستئصالهم، في حال نال فرصة زمنية لتحقيق ذلك، وحدد سقفها بأن يبقيه الله على قيد الحياة ويؤخره إلى يوم القيامة[4]، والسّر في طلب التّأخير إلى هذا الموعد، كي يكون إضلاله وغوايته شاملة لجميع ذرية آدم عليه السّلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلا يسلم بذلك من شره جيلٌ من الأجيال، وقد وافق إبليس بهذا الطّلب مراد الله عن غير

---

[1] البغوي، **معالم التّنزيل**، ج5/ص101.

[2] قطب، **في ظلال القرآن**، مج6/ص3580.

[3] السّعدي، عبد الرّحمن بن ناصر بن عبد الله، ت:1376هـ، **تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرّحمن بن معلا اللويحق، ص865، مؤسسة الرّسالة للطباعة والنّشر والتّوزيع، لبنان – بيروت، ط1، 1420هـ – 2000م.

[4] الطّبري، **جامع البيان**، ج17/ص489.

علم مسبق منه، فقد قضى الله أن يكون إبليس عدوًا لآدم وذريته إلى يوم الدّين، ومن اللطائف أن إبليس ذكر إغواء ذرية آدم، ولم يذكر إغواء آدم نفسه، وتعليل ذلك أن هذا الكلام صدر من إبليس بعد إخراجه لآدم من الجنة، ويكأن غليله قد اشتفى منه بذلك، وأراد على الرّغم من ذلك استمرار العداوة مع ذرية آدم وغوايته، والمقصود بالاحتناك: أي: أن الرّاكب عن ركوبه الفرس، يضع اللجام في حنك الفرس كي يسير به، كأن إبليس أراد أن يُرغم بني آدم على هواه في السّير في طريق الإفساد[1]، ويستثنى من هذا الإغواء قليل من العباد، الذين آمنوا بالله واتبعوا طريق الحق والهدى، وساروا في سبيل الإيمان، وقد كرمهم الله تعالى بقوله: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحجر: ٤٢]

المطلب الثّاني: محاولة الكفار تشويه الدّين الإسلامي.

إن فاقد الحجة حينما لا يجد ما يدافع به عن موقفه أمام النّاس، يلجئ إلى الكذب والخداع والتّشويه والتّضليل، وهكذا فعل أهل الكفر والنّفاق، فأظهروا الإيمان في أول الأمر، ثم كفروا ليُدخلوا الشّك في نفوس من آمن، ويضع الحواجز أمام الدّخول في الإيمان ممن لم يؤمنوا بعد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٢]

حاول بعض يهود المدينة المنورة الالتفاف على الحق، فأظهروا الإيمان في البداية ظاهرًا، ثم ظهروا على حقيقتهم برفضهم للإيمان، ولم يكن دافعهم من ذلك إلا إدخال الشّك على نفوس أهل الإيمان، ووضع مسوّغ لأنفسهم أننا خرجنا من الدّين بسبب ما رأينا فيه من أشياء سيئة وأمور باطلة دفعتنا للخروج، وفي ذلك مدعاة للمنافقين وضعاف الإيمان والنّفوس أن يفعلوا مثلهم[2]، وسمي وجه النّهار وجهًا لأنه أول ما يواجهك منه، وهو كالوجه في علوه وشرفه[3]، ويقصد بوجه النّهار أي: صلاة الغداة، فصلى أحبار يهود الصّلاة مع النّبي محمد صلى الله عليه وسلم، فلما جاء وقت العشاء حاول اليهود التّحايل على الحق، فقال أحبارهم: لقد تأملنا فيما لدينا من علم في التّوراة، فلم نجد تطابقًا بين ما فيها من صفات وبين النّبي–صلى الله عليه وسلم– لذا فنحن نكفر الآن (واكفروا آخره) أي: عند صلاة العصر، ولولا ذلك لبقينا على الإيمان، وقد كذبوا فما كان

---

[1] ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج15/ص152.

[2] البقاعي، **نظم الدّرر**، ج4/ص457.

[3] الألوسي، **روح المعاني**، ج2/ص192.

هدفهم من وراء كل هذه الحيلة والمؤامرة إلا أن يدخلوا الشّك في نفوس أهل الإيمان، **(لعلهم يرجعون)**، لكن رد الله كيدهم إلى نحرهم ولم ينالوا مما خططوا له شيئًا سوى الخزي والخيبة والذّل والخسارة[1].

[1] مقاتل، أبو الحسن بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، ت: 150هـ، **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ج1/ص284، دار إحيار التّراث العربي للطباعة والنّشر والتّوزيع، لبنان – بيروت، ط1، 1423هـ - 2002م.

المبحث الثَّاني: التَّأخر في المنزلة والشَّرف في القرآن الكريم.

ليس المقصود بالتَّأخر هنا، التّراجع والتّخلف عن المراتب المتقدمة، بل يُقصد به الفوز بمراتب الآخرة وما فيها من نعيم مقيم، ودرجات عالية، وشرف رفيع.

إن من أبرز علامات العبودية، دعاء العبد لربه بكل حاجاته، وعلى رأس أولوياته أن يدعو الله بأن يوفقه إلى طريق الهداية والصّلاح، ويجعل له القَبول بين الخلق والسّمعة الطّيبة في الدّنيا والآخرة، وهكذا كان حال أفضل الخلق الرّسل والأنبياء.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء: ٨٣ – ٨٤]

يدعو سيدنا إبراهيم عليه السّلام الله تبارك وتعالى بأن يكرمه بشرف أن يرسله رسولاً إلى الخلق، وأن يكون مؤتمنًا على ما ينزله إليه الوحي فيبلغه للناس بصدق وأمانة، وبهذه الرّسالة يكون قد اصطفاه لنفسه، واجتباه من بين خلقه، ودعاه أن يرفع من مقامه ومنزلته فيجعل له بين النّاس ذكرًا طيبًا، وثناءً كريمًا، يستمر ويبقى حتى بعد موته[1] وقبولًا بين أهل الأرض والسّماء فأكرمه الله بذلك وأعطاه ما طلبه، فكان في نظر الأمم من أهل الشّرائع كلها نبيًا صالحًا[2] وقدوة في الإحسان والخير[3] فتمسكت به وعظمته الأمم، وخاصة هذه الأمة الإسلاميّة المباركة فهي تثني عليه وتدعو له في الصّلاة المسماة باسمه (الصّلاة الإبراهيميّة) عند كل تشهد من تشهدات الصّلاة فرضًا ونافلة آناء الليل وأطراف النّهار[4]، وقد قال تعالى مؤكدًا على استجابة دعاء سيدنا إبراهيم عليه السّلام. ﴿وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [النحل: ١٢٢]

فكان من فوائد الدّعاء للعبد أن يكرمه الله تبارك وتعالى بخير الدّنيا والآخرة، وخاصة القَبول والذّكر الحسن بين النّاس والسّمعة الطّيبة في حياته وبعد مماته، وأن يكرمه الله عز وجل بحسن الخاتمة وهذا كان منهج ودعاء الرّسل والأنبياء، منهم سيدنا يوسف عليه السّلام حينما سجل الله دعاءه في القرآن الكريم،

---

(1) الطّبري، **جامع البيان**، ج19/ص364.

(2) البغوي، **معالم التّنزيل**، ج3/ص471.

(3) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج6/ص133

(4) القِنّوجي، **فتحُ البيان**، ج9/ص391.

قال تعالى: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف: ١٠١]

ورفع الله قدر سيدنا نوح عليه السّلام فقال: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الصافات: ٧٨ – ٧٩]

وأعلى منزلة سيدنا إبراهيم عليه السّلام فقال: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الصافات: ١٠٨ – ١٠٩]

وأعلى من قدر سيدنا موسى وهارون عليهما السّلام فقال: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [الصافات: ١١٩ – ١٢٠]

وشرف سيدنا عيسى وجعله من الوجهاء والمقربين في الدّارين فقال: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٥]

وكان من بين الأقوام الذين شرف قدرهم أهل سيدنا إلياس عليه السّلام فقال: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [الصافات: ١٢٩ – ١٣٠]

ومسك الختام وبدر التّمام حبيب الحق وسيد الخلق، سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، رفع الله قدره فاصطفاه وغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، ولم يجعل ذلك لأحد من قبله أو بعده، فقال تعالى: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ ﴾ [الفتح: ٢]

المبحث الثَّالث: التَّأخر في الخير والشَّر في القرآن الكريم.

إن من واجب المؤمن في هذه الحياة الدّنيا أن يكون مبادرًا في الخير، ممتنعًا عن كل شر، ابتغاء مرضاة الله والثّواب منه، فهو يعلم أن من سار في طُرق الغواية أدت به إلى الهاوية، ومن سار في طريق الهداية نال الدّرجات العالية.

المطلب الأول: عقاب المحاربين لدين الله في الدّنيا والآخرة.

لم يكن الله تبارك وتعالى ليترك المحاربين لدينه أن يُفلتوا دون عقاب، لذا فقد توعدهم بالخزي والعذاب في الدّنيا والآخرة، جزاءً لهم عما فعلوا من إفساد في الأرض وصد عن سبيله سبحانه وتعالى.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الزمر: ٢٦]

الأمم التي كذبت الأنبياء والرّسل عذبهم الله بالهوان في الدّنيا وفي الآخرة، وكان عذابهم الدّنيوي بالذّل وعذابهم الأخروي كان أشد وذلك بدخول النّار(1) ومن أشكال عذاب الدّنيا كان إيقاع القتل والخسف والمسخ والأسر بهم، وعذاب النّار كان أشد لاتصافه بالدّيمومية والاستمرارية(2) وتحقق بهذا العذاب شفاء صدور القوم المؤمنين من القوم الظّالمين الذين كذبوا خير الخلق وحبيب الحق أشرف الأنبياء والرّسل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم(3) ولو أن هؤلاء القوم الظّالمين تفكروا وتأملوا بما سيؤول إليه حالهم ومصيرهم لسارعوا إلى الإيمان وما كذبوا ولكن أنّى لهم ذلك وقد أعمت الذّنوب أبصارهم وبصائرهم وقلوبهم(4) فكان مصير من يكذبون الله ورسوله العذاب الدّنيوي والأخروي، ولو أنهم أدركوا حقيقة ما هم مقبلون عليه من العذب لامتنعوا عن التّكذيب والكفر والضّلال والظّلم، لكنه العناد والجهل الذي كان سببًا في شقائهم وهلاكهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٢٧ – ٢٨]

---

(1) الطّبري، **جامع البيان**، ج21/ص282.

(2) الشّوكاني، محمد بن علي ببن محمد بن عبد الله اليمني، ت: 1250هـ، **فتح القدير الجامع بين فني الرّواية والدّراية من علم التّفسير**، ج4/ص528، دار ابن كثير، دار الكلم الطّيب، دمشق – بيروت، ط1، 1414هـ – 1993م.

(3) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج7/ص85.

(4) القِنّوجي، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، ج12/ص109.

وقد وضح القرآن الكريم جزاء المحاربين لله والرّسول في الدّنيا أيضًا، قَالَ تَعَالَى:﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [المائدة: ٣٣]

المطلب الثّاني: الآخرة خير وأبقى من الحياة الدّنيا.

الأصل في المؤمن أن يكون دومًا مبادرًا إلى فعل الطّاعات، غير متكاسل عنها، سواءً أكانت هذه الطّاعات يسيرة بالنّسبة إليه، أو عظيمة كالجهاد في سبيل الله تعالى، فالله لا يكلف نفسًا إلا وسعها، وإن كان هناك من مشقة فهي تبقى محتملة وفيها أجر عظيم لا يجب التّفريط فيه.

قَالَ تَعَالَى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾ [التوبة: ٣٨]

سبب النّزول:

عندما عاد النّبي صلى الله عليه وسلم من الطّائف، جاءه الأمر من الله تبارك وتعالى بغزو الرّوم، في وقت شدة وضيق على النّاس، وأجواء شديدة الحرارة، والسّفر بعيد، والخطر عظيم، والعدو متربص بهم، فكان الأمر بالجهاد في ظل هذه الأوضاع شاقًا على نفوس المسلمين، فأنزل الله عز وجل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ...﴾ وفي هذا عتاب من الله لهم، كيف لكم أن تتثاقلوا من أمر الله لكم وتتأخروا عن الاستجابة، هل آثرتم الحياة الدّنيا الفانية على الآخرة الباقية، فاعلموا أنه لا يفعل ذلك من استقر الإيمان في قلبه[(1)] وقد جاء الأمر بغزو الرّوم في السّنة التّاسعة من الهجرة بعد فتح مكة المكرمة في غزوة سُميت تبوك، إذْ غزا فيها المسلمون الرّوم بأكثر من عشرين ألف وتخلف عنهم بعض القبائل العربيّة وأهل النّفاق وبعض من المؤمنين الذين بقوا في المدينة دون عذر وهم الثلاثة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية فقد عاتبهم الله عتابًا شديدًا على تخلفهم الذي ما كان ليصدر من أمثالهم فهم القدوة الحسنة ومن أهل بدر وقبل كل ذلك هم ممن نالوا شرف صحبة النّبي صلى الله عليه وسلم[(2)] لكن ثقلة الأرض

---

(1) البغوي، **معالم التّنزيل**، ج4/ص48.

(2) ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج3/ص34.

والطّمع بما فيها، تجذب النّفس إليها ممزوجة بالحرص على الحياة والمال، والخشية من انقطاع اللذائذ بفراقها، والرّغبة بالبقاء والرّاحة، وكل هذا يجعل العبد بعيدًا عن الإيمان، قريبًا من النّفاق، فمن كان سليم العقيدة علم أن الحياة والموت والنّفع والضّر والرّزق بيد الله تبارك وتعالى، فلا ينقص من ذلك الجهاد والجرأة في الحق، ولا يزيد في ذلك القعود ومداهنة الباطل ومهادنته.[1]

فإياكم أن تتكاسلوا عن الجهاد، أو تميلوا على الدّعة والاسترخاء وطلب الدّنيا بما فيها من ثمار وملذات وشهوات فهي فانية منقطعة، واجعلوا قلوبكم متعلقكم بالآخرة الدّائمة الباقية[2] والمقصود بالنّفير: هو مفارقة المكان بشكل سريع إلى مكان آخر لسبب يدعوه إلى ذلك[3] وأكثر ما يستخدم هذا اللفظ في الخروج إلى الحرب، وهو خروج تكرهه النّفس لما فيها من كسل وجُبنٍ والتصاق بالأرض.

وحب الدّنيا الفانية يجب أن يُنزع من النّفوس، فتصبح إذا ما قورنت بالآخرة الباقية لا تساوي شيئًا، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَـٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَـٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩ ﴾ [غافر: ٣٩]

وفي تصريح القرآن الكريم تفضيل الدّنيا على الآخرة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧ ﴾ [الأعلى: ١٧]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ٤ ﴾ [الضحى: ٤]

المطلب الثّالث: الموازنة بين الحياة الدّنيا والآخرة.

إن سعي الإنسان في هذه الحياة الدّنيا لا بُد أن يكون متوزانًا مع الآخرة، دون إفراط ولا تفريط، فالآخرة هي الغاية الكبرى، ومع ذلك فهذا لا يمنع من أن يكون للإنسان نصيب من الدّنيا طالما كان ذلك في طاعة الله ورضاه، بعيدًا عن معصيته والظّلم والإفساد في الأرض.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ ﴾ [القصص: ٧٧]

---

[1] قطب، سيد بن قطب بن إبراهيم بن حسن الشّاربي، ت: 1387هـ، **في ظلال القرآن**، مج6/ص1655، دار الشّروق للطباعة والنّشر والتّوزيع، مصر – القاهرة، ط32، 1423هـ – 2003م.

[2] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج4/ص135.

[3] الطّبري، **جامع البيان**، ج14/ص251.

ينهى الله تبارك وتعالى قارون عن الظّلم والبغي على قومه بما أعطاه الله إياه من مال، فلا يستخدم النّعمة في المعصية، بل يسخر نِعَمَ الله عليه في الطّاعة، فينفق ماله المستأمن عليه والمستخلف فيه في وجوه الخير والقربات، فيكون ما يفعله بهذا المال في الدّنيا طريقًا للفوز بنعيم الآخرة والنّجاة من النّار[1] ويكون هذا الإنفاق عبر تقديم الصّدقات للفقراء والمساكين والمحتاجين، ولا يتطلب أو يشترط للفوز بالآخرة أن يقدم العبد ماله كله بل يوازن ويجمع بين الأمرين، فيحفظ لنفسه حقها في الدّنيا فيتمتع دون إفراط أو تفريط، ويكون هذا التّمتع بالمباحات التي أحلها الله، ويجتنب الفساد والفسق والتّكبر في الأرض كي لا يُعرض نفسه لعقاب الله بزوال النّعمة عنه في الدّنيا ودخوله النّار وعذابها في الآخرة[2] وإحسان العبد يكون بشكره لله على نعمه واستخدام هذه النّعمة في طاعة الله، فيقابله الله بدوامها وزيادتها، فإن أعرض العبد وكان في نعمة ولم يشكر سُحبت منه وهو لا يشعر، وتحولت النّعم إلى نقم[3] قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٧]

ومن وجوه إنفاق المال في سبل الخير، أن يُقدم هذا المال صدقات لمن يحتاجها، فيُعطى منه الأقارب وخاصة عبر صلة الأرحام، وإطعام الفقراء، وتقديم يد العون للمساكين واليتامى والأرامل، وبناء المدارس ومراكز العلاج الصّحي، وسداد ديون الغارمين، وتزويج الشّباب، وغيرها من مصارف الخير، فحياة الإنسان الحقيقية هي الآخرة قبل أن يأتي عليه يوم يصبح لسان حاله فيه يقول﴿ ...يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ ﴾ [الفجر: ٢٤] أي: يا ليتني استكثرت من الخير في حياتي الدّنيا لحياتي الباقية في الآخرة[4].

وأكثر ما يُفسد الإنسان ويجعله يغتر بنفسه، امتلاكه للمال وتقلده المناصب والوظائف ذات السّيادة والمكانة، فكانت النّصيحة القرآنية، قَالَ تَعَالَى:﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الإسراء: ٣٧].

لذا فالسّعيد من تداركته رحمة الله فأدى حق الله فيما أُؤتمن عليه، وذلك عبر جعل بطانة صالحة تذكره بالله تعالى، وتنصحه وترشده إلى الخير والمعروف وتنهاه عن اتباع الهوى والمنكرات، فيجعل هذا المال

---

[1] الطّبري، **جامع البيان**، ج19/ص524.

[2] السّعدي، **تيسير الكريم الرّحمن**، ص623.

[3] البيضاوي، ناصر الدّين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشّيرازي، ت:685هـ، **أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل**، تحقيق: محمد عبد الرّحمن المرعشلي، ج4/ص185، دار إحياء التّراث العربي – بيروت، ط1، 1418هـ – 1997م.

[4] القِنّوجي، **فتحُ البيان**، ج10/ص150.

والمنصب سببًا في طاعة الله تبارك وتعالى والتّواضع مع الخلق، وبذلك يكون المال والمنصب نعمة له لا نقمة عليه.

قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ٢٦ ﴾ [الرعد: ٢٦].

المطلب الرّابع: الإيمان بالدّار الآخرة طريق المتقين لدخول الجنة.

إن من أبرز علامات صدق إيمان الإنسان، أن يكون العبد محبًا لله تبارك وتعالى، وأن يخافه في السّر والعلانية، وهذا ما يعرف بالتّقوى، فتكون ثمرتها الفوز بخير الدّنيا والآخرة. قَالَ تَعَالَى:﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٠ ﴾ [النحل: ٣٠].

أهل الإيمان بالله تبارك وتعالى ورسوله، الذين أطاعوا ما أنزل الله على نبيه فالتزموا بالأعمال الصّالحة وشجعوا غيرهم عليها ينالون حسنة منه سبحانه أي: كرامة من المولى عز وجل، مع تفضيل الدّار الآخرة على الدّنيا، فالكرامة والتّكريم والنّعيم الذي ينتظرهم في الآخرة الباقية، يفوق ما نالوه من كرامة وتكريم في الحياة الدّنيا، فكانت الدّنيا دار إعداد للفوز بدار الآخرة التي سبيل الوصول إليها يكون عبر التّقوى بأداء الطّاعات واجتناب المحرمات[(1)] ورغم أن خيرية وأفضلية الجنة على النّار من الأشياء البديهية المعلومة، إلا أن الله تبارك وتعالى أراد أن يبشرهم بالنّجاة من النّار، والدّنيا ليست مذمومة فهي مزرعة للآخرة وما يزرعه العبد في الدّنيا من أعمال صالحة يجد ثوابها وفضلها في الدّار الآخرة[(2)] ووصف الدّار الآخرة بالخير أي: البشرى التي أنزلها الله تبارك وتعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم أن جزاء الإحسان والطّاعة الفوز بثواب الدّنيا العاجل ونعيم الآخرة الآجل[(3)] والأجر مضاعف فالحسنة الواحدة يبدأ أجرها من مثلها إلى عشر أمثالها إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة والله يضاعف بقدر ما يشاء لمن يشاء كيف يشاء، فيكرم العبد بالخير والفتح

---

(1) الطّبري، **جامع البيان**، ج17/ص197.

(2) الماوردي، **النّكت والعيون**، ج3/ص187.

(3) الثّعالبي، أبو زيد عبد الرّحمن بن محمد بن مخلوف، ت:875هـ، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: الشّيخ محمد علي معوض – الشّيخ عادل أحمد عبد الموجود، ج3/ص417، دار إحياء التّراث العربي للنشر والتّوزيع، لبنان – بيروت، ط1، 1418هـ – 1997م.

والنّصر والتّمكين والذّكر الجميل والثّناء الحسن والحياة الهنيئة والرزق الطّيب في الدّارين[1] ومن أعظم ما يؤتيه لله تعالى من النّعم هو القرآن الكريم، ولا يعادل ذلك أي نعمة، فلا أحد يملك أفضل ولا أحد يكون أغنى ممن آتاه الله نعمة القرآن والعمل به، بفعل الطّاعات التي تزيد الإيمان والإحسان إلى الخلق واستشعار رقابة الله على العبد في السّر والعلانيّة، مما يعزز جانب التّقوى لدى النّفس المؤمنة للفوز بسعادة الدّنيا والآخرة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٥٧ ﴾ [يوسف: ٥٧].

المطلب الخامس: إنكار الدّار الآخرة وأثر ذلك على سلوك أصحابه.

إن الكبرو الغرور والعناد، من أبرز أسباب جحود الحق، التي تدفع الإنسان لرفض الإيمان بالآخرة، فيصبح القلب مغلقًا عن استقبال مؤثرات الهداية، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، فقد طُمست فطرته، وأطفأت أنوار بصيرته.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٢٢ ﴾

[النحل: ٢٢].

المعبود الذي يستحق من العباد العبادة وإفراده بالطّاعات والقربات هو معبود واحد لا شريك له، لأن تعدد الآلهة شيء مرفوض نقلًا وعقلًا، والنفع والضّر، والحياة والموت، والرّزق والمُلك بيده وحده سبحانه وتعالى، لكن من يرفضون عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر تجحد وتنكر قلوبهم هذه الحقيقة تكبرًا وعنادًا، واتباعًا منهم لما كان عليه الآباء والأجداد من قبلهم[2] قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝١٠ ﴾ [إبراهيم: ١٠].

وبما أن الحق لديهم واضح، والحقيقة ظاهرة، لم يكن هناك من تفسير لإعراضهم عن الإيمان إلا اتباع الهوى والسّير في طريق الضّلال لأجل تحصيل مصالح دنيوية فانية[3] وجمع الآية بين وحدانية الله والإيمان

---

[1] القِنّوجي، **فتحُ البيان**، ج7/ص235.

[2] الطّبري، **جامع البيان**، ج17/ص188.

[3] الخازن، علاء الدّين أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشّيحي، ت: 741هـ، **لباب التّأويل في معاني التّنزيل**، تصحيح: محمد علي شاهين، ج3/ص72، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415هـ – 1995م.

بعقيدة البعث، دلالة واضح على الرّبط بين الأمرين، فمن لم يؤمن بالبعث والجزاء والحساب والثّواب والعقاب، ما كان ليجد سببًا يدفعه للإيمان بالله تبارك وتعالى، رغم أن هؤلاء النّاس لديهم ما يكفي الآيات الواضحة والبراهين الدّامغة التي تدعوهم للإيمان، لكن العلة كامنة في نفوسهم وطباعهم، والخلل متأصل ومتجذر في أعماق قلوبهم، والتّكبر والعناد هو سيد الموقف ومسيطر عليهم[1]فلا تنفع معهم المواعظ ولا تؤثر فيهم الفواجع، ولا يأخذون الدّروس والعبر، فكانت النّتيجة رفضهم للحق وعدم التّسليم لأوامر الله تعالى، فخسروا بذلك الدّنيا والآخرة[2].

وأساس كل فساد في الأرض هو مخالفة عقيدة وحدانية الله تبارك وتعالى، وتكذيب المستكبرين عن الحق باليوم الآخر، وعدم التزامهم بأوامر الله ونواهيه، فمن لم يؤمن بيوم القيامة يسهل عليه فعل أي معصية؛ لأنه يظن أنه غير محاسب على ذلك أمام الله تبارك وتعالى، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف: ٤٨ – ٤٩].

وكذلك من تأثير عدم الإيمان بالآخرة، ألا يبادر العبد إلى فعل الطّاعات، وخاصة التي فيها مشقة على النّفس، وفيها بذل وعطاء وتقديم لأكثر ما تحبه النّفس ألا وهو المال، فيمتنع عن دفع الزّكاة إلى مستحقيها قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [فصلت: ٧].

وكذلك كراهية سماع ذكر الله تبارك وتعالى والتّحاكم إلى شريعته والعمل فيها وإخلاص العبادة له عز وجل، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزمر: ٤٥].

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن**، مج4/2167.

[2] القِنّوجي، **فتحُ البيان**، ج7/ص226.

<u>الفصل الخامس: صفات المتأخرين في القرآن الكريم.</u>

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أفضل صفات المتأخرين.

المبحث الثَّاني: أقبح صفات المتأخرين.

المبحث الثَّالث: المتأخرون وجزاء أعمالهم في الدُنيا والآخرة.

توطئة

يستعرض هذا الفصل صفات المتأخرين في القرآن الكريم، عبر الحديث عن أفضل وأقبح صفاتهم، وجزاء الله لهم على أعمالهم في الدُّنيا والآخرة.

المبحث الأول: أفضل صفات المتأخرين.

ليس التّأخر دومًا بالشّيء السّلبي، فهو يحمل المعنى الإيجابي أيضًا، خاصة عندما نربطه بالإيمان بالدّار الآخرة والتّصديق بها، والعمل الحثيث للفوز بأعلى درجات الجنة يوم القيامة.

المسألة الأولى: التّصديق بالآخرة من شروط صحة الإيمان.

إن من أبرز علامات أهل الإيمان، تصديقهم باليوم الآخر، اليوم الذي يجزي الله فيه كل نفس بما كسبت، من خير كان أو شر، هو يوم الرّهبة لأهل الكفر والنّفاق، ويوم الاطمئنان والأمان لأهل الطّاعة والإيمان.

قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [المائدة: ٦٩]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أي: من آمن عن طريق اللسان، وقوله تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ أي: كان الإيمان متأصلًا داخل القلب، فيكون الإيمان على حقيقته جامعًا بين إيمان اللسان والجَنان والجوارح والأركان[1] وأهل الإسلام هم الذين آمنوا بالله ورسوله، واليوم الآخر وفعلوا الأعمال الصّالحة، فأثابهم الله على ذلك أن أمنهم من الخوف وأهوال يوم القيامة، وطمأن قلوبهم وشرح صدورهم فلا يصيبهم الحزن على ما تركوا خلفهم من ملذات الدّنيا، حينما يرون ما أعد الله لهم من نعيم عظيم في جنات الآخرة[2] والصّابئون فرقة تركت عبادة الأصنام وأقبلت على توحيد الله قبل بعثة النّبي صلى الله عليه وسلم، لكن عبادتهم لم تكن اتباعًا لملة معينة، وكان من ضمنهم أفراد من العرب بأعداد محدودة[3] ويخبر الله تبارك وتعالى عن أهل الكتب السّماوية من أهل القرآن والتوراة والإنجيل، أن سبيلهم في الوصول إلى السّلامة والنّجاة أمر مشترك وهو الإيمان بالله تبارك وتعالى وكل ما جاء به الوحي[4] وقد ابتدأت الآيات بذكر أهل الإيمان من الذين آمنوا بالله ورسوله والقرآن الكريم وذلك للدلة على سمو منزلتهم وعلو شأنهم وأفضليتهم، أما فيما يتعلق بالفرق الأخرى من الذين هادوا والصابئين والنّصارى، فالحكم فيهم أن من لم تصله دعوة الإسلام بالطّريقة الصّحيحة التي

---

(1) البغوي، **معالم التّنزيل**، ج2/ص71.

(2) الطّبري، **جامع البيان**، ج10/ص476.

(3) قطب، **في ظلال القرآن**، مج2/ص942.

(4) السّعدي، **تيسير الكريم الرّحمن**، ص239.

يقام بها الحجة عليه، وكان ينتمي إلى شريعة صحيحة وعقيدة سليمة تقوم على الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصّالح فإن أجره عند الله محفوظ، أما من وصلته دعوة الإسلام بالصّورة الصّحيحة لكن أبى إلا أن يرفضها، فمصيره العذاب يوم القيامة مهما كان إيمانه بغيرها؛ لأن دين الإسلام جاء ناسخًا لكل ما سبقه، فلا يقبل إيمان من لم يؤمن بغير الإسلام بعد وصوله إليه بالصّورة السّليمة[1] فلا يصح إيمان من لم يؤمن بالنّبي صلى الله عليه وسلم واتبع شريعته بعد قدومه، ولو آمن بأي دين أو معتقد آخر لم يكن ذلك لينفعه، لكن المنافقين والمشركين والمعاندين لا تزيدهم هذه التّحذيرات إلا طغيانًا وظلمًا وعنادًا وكفرًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

المسألة الثّانية: عدم موالاة الذين لا يؤمنون بالآخرة وقتالهم.

لا يجتمع في قلب مؤمن حب الله تعالى وحب أعدائه، فمن كان محبًا لله لا بُد له أن يكون مبغضًا للمحاربين لدينه، والصّادين عن سبيله، لذا كان النّهي لأهل الإيمان عن موالاة الكفار، والتي تتضمن المحبة القلبية وما يترتب عليها من أفعال سلوكية.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الممتحنة: ١٣].

ينهى الله تبارك وتعالى أهل الإيمان عن موالاة الكفار عامة، واليهود خاصة، فهم بئس القوم المجرمين المنتهكين لحرمات الله، فاستحقوا بذلك غضبه وسخطه عليهم، فكان حالهم أن يئسوا من تحصيل الثّواب في الدّار الآخرة، كما يئس الكفار الأحياء من عودة الأموات في القبور إلى الحياة الدّنيا مرة أخرى[2] وكما يئس أهل الكفر ممن ماتوا وصاروا في القبور من أن ينالهم نصيب من الرّحمة في الآخرة[3] فأمثال هؤلاء كيف لأهل الإيمان أن يحبوهم أو يوالوهم أو يتخذوهم أخلاء وقرناء وأصدقاء، فهم لا يؤمنون بعقيدة البعث جملة وتفصيلًا[4]

---

(1) طنطاوي، محمد سيد، **التّفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ج4/ص229، دار نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، مصر – القاهرة – الفجالة، ط1، 1417هـ – 1997م.

(2) الطّبري، **جامع البيان**، ج23/ص348.

(3) البغوي، **معالم التّنزيل**، ج5/ص78.

(4) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج8/ص130.

وغضب الله تعالى شامل لجميع طوائف الكفر؛ لأنهم أنكروا الإيمان باليوم الآخر، ومن مات منهم يأس من دخول الجنة، فقد وقف على الحقيقة وأدرك يقينًا أن لا حظ له في الرّحمة والمغفرة(1).

فموالاة أهل الكتاب من اليهود والنّصارى من المحرمات والخطوط الحمراء التي لا يجوز تجاوزها أو الاقتراب منها كما هو حاصل اليوم والله المستعان، ومن اللطائف أن سورة الممتحنة بدأت وانتهت بالتّأكيد على ذات الفكرة وهي النّهي عن موالاة الكفار، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١ ﴾ [الممتحنة: ١]. ويترتب على عدم الموالاة، ضرورة القتال والمواجهة قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ ﴾ [التوبة: ٢٩].

المسألة الثّالثة: عدم اتباع غير المؤمنين بالآخرة.

المؤمن يَعلو على غيره بإيمانه، ولا يَعلو عليه أهل الكفر بكفرهم، لذا فالأصل فيه أن يكون دومًا متبوعًا لا تابعًا، قائدًا في الخير، وليس منقادًا وراء شهوات وشبهات أعداء الدّين الذي لا يؤمنون بالآخرة. قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡۚ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١٥٠ ﴾ [الأنعام: ١٥٠].

يوجه الله تبارك وتعالى الخطاب إلى النّبي صلى الله عليه وسلم فيقول له: قل لعبدة الأوثان الذين افتروا على الله الكذب فادعوا أن الله حرم عليهم أمورًا، هل لديهم شهود يأتون بهم فيشهدوا معهم على صحة قولهم المزعوم هذا؟ فإن حصل وجاؤوا بشهود زور يشهدون معهم فإياك أن تشهد معهم أو تصدقهم أو تتبعهم أنت ومن معك من أهل الإيمان، فهؤلاء شهود الزّور ما هم إلا حطب جهنم، باعوا أنفسهم للشيطان، وباعوا دينهم بدنيا غيرهم، أما أهل الإيمان فيتبعون طريق الحق والهدى والخير، ويلتزمون بما جاء من وحي الله لنبيه صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم والسّنة النّبوية الشّريفة، فيحرمون ما حرم الله ونبيه، ويحلون ما أحله الله ونبيه، ولا يتبعون أهل الضّلال ممن ينكرون الإيمان باليوم الآخر وأحداثه من إحياء الموتى وبعثهم للحساب من جديد

(1) الشّوكاني، **فتح القدير**، ج5/ص258.

ودخول الجنة والنّار، وهم فوق ذلك يعبدون الأصنام ويجعلونها ندًا لله تبارك وتعالى فيبعدونها من دونه[1]، ونجد في الآية نهيًا واضحًا عن اتباع من يكذب بآيات الله تبارك وتعالى، فإنه من كذب بها كان جاحدًا باليوم الآخر، ومشركًا بالله تبارك وتعالى، وهذه من أسوء الصّفات التي قد تجتمع في شخص واحد ووقت واحد، فهو بذلك يكون قد جمع الشّر كله، ولم ينل من الخير شيئًا أبدًا[2].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [يوسف: ٣٧].

المسألة الرّابعة: اليقين بالآخرة من علامات الإيمان والتّقوى.

إن وصول العبد إلى مرحلة اليقين في إيمانه باليوم الآخر، تجعل قلبه متعلقًا بالله تبارك وتعالى، مُقبلًا على طاعته، مدبرًا عن معصيته، حريصًا على رضاه، مجتنبًا لكل ما يغضبه، لأنه يعلم أنه محاسب على كل ذلك في يوم القيامة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [البقرة: ٤].

يذكر الله تبارك وتعالى للنبي صلى الله عليه وسلم من السّمات التي يتصف بها أهل الإيمان أنهم يؤمنون بالقرآن الكريم الذي أُنزل عليه، وكذلك يؤمنون بما أُنزل على الأنبياء والرّسل من قبله كالتّوراة والإنجيل والزّابور وصحف إبراهيم وموسى، قوله تعالى: { وبالآخرة } أي: بالدار الآخرة، وقد سميت الآخرة بهذا الإسم لكونها متأخرة تأتي بعد نهاية هذه الحياة الدّنيا[3]، والمقصود باليقين، هو اتقان العلم اتقانًا تامًا، وذلك يكون بنفي الشّبهات والشّكوك عنه، بالنّظر والبحث والاستدلال، لذلك لا يوصف علم الله باليقيني ولا يطلق على الله اسم الموقن؛ لأن علمه علم أزلي ليس مبنيًا على استدلال وليس محتاجًا لغيره[4]، ويقين أهل الإيمان بالآخرة، أي إيمانهم الأكيد بما أخبر به الوحي من أحداث يوم القيامة، كالنّفخ في الصّور، والبعث

---

(1) الطّبري، **جامع البيان**، ج12/ص213.

(2) أبو السّعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى، ت:982هـ، **إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج197/3، دار إحياء التّراث العربي للنشر والتّوزيع، لبنان – بيروت، دط، دس.

(3) البغوي، **معالم التّنزيل**، ج1/ص85.

(4) البيضاوي، **أنوار التّنزيل**، ج1/ص39.

وإحياء الموتى، والحساب والثّواب والعقاب، والميزان، ودخول الجنة والنّار وغيرها[1]، ومن اللطائف، أن اليقين يأتي على ثلاث مراتب: يقين عيني، ويقين خبري، ويقين دلالي، فأما اليقين العيني: هو زوال الشّك في وجود الشّيء عند تحقق رؤيته، وأما اليقين الخبري: حدوث العلم بوجود مدينة اسمها بغداد في الأرض، وإن لم يكن قد سافر إليها، وأما اليقين الدّلالي: مثل رؤية دخان يتصاعد من مكان بعيد، فيعلم أنه نتيجة نار وإن لم يكن يراها، وكذلك العلم أن الآخرة حق لكنها تصبح يقينًا عينيًا عند وقوعها ورؤية ذلك[2]. ومن صفات أهل الإيمان الموقنين بالآخرة محافظتهم على إقامة الصّلاة على وجهها الصّحيح، وإيتاء الزّكاة إلى مستحقيها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٣ ﴾ [النمل: ٣].

المسألة الخامسة: تقوى الله في معاملة النّساء من صفات المؤمنين بالآخرة.

إن تقوى الله تبارك وتعالى، ليست مجرد كلمات يرددها اللسان فقط، إنما تحتاج إلى ما يدل عليها ويبرهن صدقها وحقيقتها، وذلك يكون عبر الأفعال، ومن ذلك مخافة الله تعالى في معاملة النّساء وإعطائهن حقوقهن في وقت الخلافات الزّوجية وعند الطّلاق.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢٣٢ ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

سبب النّزول:

جاء في سبب نزول الآية أن أخت الصّحابي معقل بن يسار رضي الله عنهما، طلقها زوجها فلما انتهت عدتها جاء يخطبها، لكن معقل رفض ذلك فنزل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ﴾[3].

---

[1] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج1/ص80.

[2] السّمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، ت:373هـ، **بحر العلوم**، ج1/ص23، دار الكتب العلمية للنشر والتّوزيع، بيروت – لبنان، ط1، 1413هـ – 1993م.

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب (وإذا طلقتم النّساء فبلغنّ أجلهنّ فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) البقرة: 232، ج6/ص29، رقم الحديث: 4529.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ أي: إذا شارفت عدة النّساء على الانتهاء فالزّوج مخير بين أمرين: ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ وذلك يكون عن طريق إعادة الزّوج لزوجته إلى ذمته قبل انتهاء عدتها، ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ وذلك عن طريق تركها وعدم إعادتها إلى الذّمة حتى انتهاء العدة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْ﴾ [البقرة: ٢٣١] والمقصود بذلك أن يراجع الزّوج زوجته كلما قام بتطليقها حتى تطول فترة عدتها بهدف إيقاع الضّرر عليها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ﴾ [البقرة: ٢٣١] أي: وقع في ظلم زوجته نتيجة إضراره المتعمد بها المذكور آنفًا، مع الإشارة إلى أن الرّجعة من ناحية شرعية تكون صحيحة، والطّلاق واقعًا[1] قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۗ ﴾ [البقرة: ٢٣٢] أي: الأمر الذى نهى الله عنه والمتمثل بمنع الأولياء من عضل النّساء لا يلتزم به إلا من كان مؤمنًا بالله وشرعه ويخاف عذاب الله في يوم القيامة[2].

والعضل هو المنع من الزّواج دون وجه حق شرعي، وفي ذلك تعسير وتضييق وظلم، فتكون نتيجة العضل الفساد في الأرض، وفتح أبواب قد تؤدي للوقوع في الحرام نتيجة تضييق الخناق ومنع ما أحل الله، لذا نهى الله عن العضل فهو يعلم من نتائجه ما لا يعلمه النّاس بعلمهم القاصر [3].

فمن حق المرأة أن تعود إلى من طلقها طلاقًا رجعيًا، وذلك ضمن الضّوابط الشّرعية ولا يجوز حرمانها من ذلك، وفي هذا موعظة يلتزم بها من كان لهم قلب عامر بالإيمان وتقوى الله تبارك وتعالى، أما عدا أولئك فهم واقعون في الإثم وغارقون في الذّنوب والمعاصي.

ومن صفات المؤمن بالآخرة محافظته على حقوق المرأة وخاصة زوجته، فيحافظ على التّعامل بمعروف معها سواء في حال الإمسك أو الفراق، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ ﴾ [الطلاق: ٢].

---

[1] الماوردي، **النّكت والعيون**، ج1/ص297.

[2] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج1/ص477.

[3] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج1/ص310.

المسألة السّادسة: دعاء الأنبياء بالخير والصّلاح في الآخرة.

إن من أعظم الأمنيات التي يسألها العبد لربه، وهي من دعاء الأنبياء والمرسلين، أن يكرمه بحسن الخاتمة، وهذه الكرامة لا تأتي مصادفة، إنما هي بعد توفيق الله، تكون نتيجة أعمال تراكمية، وثمرة إخلاص طويل أمضاه العبد في طاعة ربه، فمن عاش على شيء مات وبُعث عليه.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف: ١٠١].

بعد أن أكرم الله تبارك وتعالى نبيه يوسف عليه السّلام، بأعظم النّعم فجمع له بين المكانة والكرامة والجاه والعز والسّلطان والحكمة، وأعاده إلى والده، والتقى بإخوته، وأصبح عزيز مصر وسيدها وحاكمها، وكان يفسر الأحلام وينفع النّاس ويخدمهم، وقد اشتاقت نفسه إلى لقاء آبائه الصّالحين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، وعموم أهل الجنة[1]، حينها دعى يوسف عليه السّلام ربه وأثنى عليه قبل الطّلب فقال أن الله هو خالق السّموات والأرض، وهو النّاصر والمعين والسّند والمدد، واعترف بفضل الله عليه، وعدد جانبًا مما أكرمه الله به، أن يتم عليه نعمته بأعظم أمنية قد يتمناها الإنسان، وهي الموت على الإسلام عند انتهاء أجله المقدر مسبقًا من الله، وهذا من باب الدّعاء بتمام النّعمة، وليس المقصود منه تمني الموت بحد ذاته في تلك السّاعة، وهذه عادة الأنبياء والمرسلين التّعلق بالله وعدم الرّكون إلى النّفس واتباع الهوى، لإدراكهم أن الهداية نعمة ومنة وتوفيق من الله، وليست أمرًا عابرًا يناله أي أحد[2].

المسألة السّابعة: أثر الرّجاء في صناعة الإيمان باليوم الآخر.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

---

[1] الطّبري، **جامع البيان**، ج16/ص278.

[2] ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الكلبي الغرناطي، ت:741هـ، **التّسهيل لعلوم التّنزيل**، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، ج1/ص396 – 397، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، لبنان – بيروت، ط1، 1416هـ – 1995م.

يعاتب الله تبارك وتعالى أهل الإيمان الذين تخلفوا عن اللحاق بالنّبي صلى الله عليه وسلم والجيش الإسلامي، فيقول لهم الله أن لهم بالرّسول عليه الصّلاة والسّلام القدوة الحسنة فواجبكم أن تكون برفقته حيثما كان، فهذه صفة المحب أن يبقى بقرب من يُحب، وهذه صفة من أراد نيل رحمة الله تعالى والفوز بالجنة(1) وهذه صفة من خاف الله تبارك وتعالى، وخشي يوم الحساب وكان ذاكرًا لله تبارك وتعالى في الأحوال كافة سواء في السّراء أو الضّراء(2) ومن المواقف التي كان فيها النّبي صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة وصالحة لقومه، أن كان أولهم في الجهاد والقتال في سبيل إعلاء كلمة الله ونصرة الدّين، وقد لاقى في ذلك العناء والتّعب والمشقة والشّدة والأذى ولكنه صبر إذ قُتل عمه حمزة بن عبد المطلب، وكُسرت أسنانه وسالت الدّماء من وجهه وقدميه الشّريفتين، وصبر على الجوع وتحمل الضّرب والتّهجير والتّشريد والطّرد من بلده، وفراق أهله، ورغم ذلك كان جبل المحامل في وقت الشّدائد تجدونه يواسيكم ويدعمكم ويساعدكم ويساندكم، فلا أقل من أن تطيعوا أمره وتجتنبوا ما نهى عنه وتلتزموا سنته وتكثروا من الصّلاة والسّلام عليه فبذلك تحققون الاقتداء به عليه الصّلاة والسّلام(3) وتعتبر هذه الآية أصلًا عظيمًا وأساسًا متينًا في الدّعوة إلى الاقتداء بالنّبي صلى الله عليه وسلم قولًا وفعلًا وفي أحواله كلها(4) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٦ ﴾ [الممتحنة: ٦].

والإيمان باليوم الآخر رادع للإنسان من الإفساد في الأرض، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝٣٦ ﴾ [العنكبوت: ٣٦]. ودافع له على مزيد من العبادة والطّاعة وطلب العلم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩ ﴾ [الزمر: ٩].

---

(1) الطّبري، **جامع البيان**، ج20/ص235.

(2) البغوي، **معالم التّنزيل**، ج3/ص624.

(3) القِنّوجي، **فتحُ البيان**، ج11/ص66.

(4) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج6/ص350.

المسألة الثّامنة: الإيمان بالله وعمارة المساجد.

إن المساجد بيوت الله في الأرض، فمن كان معمرًا لها بالصّلوات، ومحافظًا عليها من الأذى، استحق أن ينال منزلة أهل الهداية والصّلاح في الجنة.

قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٨].

لا يعمر مساجد الله تبارك وتعالى إلا من كان مؤمنًا ومقرًا بتوحيد الله تبارك وتعالى وأفرده بالطّاعة والعبادة، ومصدقًا باليوم الآخر وما فيه من أحداث كبعث الموتى من القبور وإحيائهم مرة أخرى للحساب والجزاء، وكان مقيمًا للصلاة بواجباتها وأركانها وملتزمًا بها، ومؤديًا للزكاة بنصيبها المفروض، مقدمًا لها إلى من يستحقها، ولم يخف إلا الله تبارك وتعالى فالتزام طاعته واجتنب نهيه، ولم يخف في الله لومة لائم فكان من أهل الحق وأنصاره، فحريٌ بمن اجتمعت فيه هذه الصّفات كلها أن يكون من أصحاب الرّشاد والهداية والإيمان والتّقوى السّائرين في طريق الحق والصّواب[1] فما يصدر عن الإنسان من عبادة هو وسيلة للتعبير عن العقيدة التي يحملها، فإن لم تكن هذه العقيدة صحيحة، كانت العبادة باطلة، فالواجب على من أراد أن يؤدي الشّعائر الدّينية وأن يعمر المساجد أن يكون قلبه عامرًا بالعقيدة السّليمة الصّحيحة، مليئًا بالإيمان والتّقوى، نقيًا من الشّرك الخفي والجلي، وضرورة التّجرد لله والإخلاص في القول والعمل ظاهرًا وباطنًا، ووجوب خشية الله عز وجل[2] وقصر هذه الخشية بالله تبارك وتعالى، ليس المقصود منها الحصر، فقد يخاف المؤمن بناءً على طبيعته البشريّة من الحيوانات المفترسة كالنّمر والأفعى، ويخاف من سلاح العدو وبطشه به، لكن خشيته لله تمتاز بأنها يقدمها على غيرها فلا يخشى شيئًا يفوق خشيته لله تبارك وتعالى[3]، ومن أشكال عمارة المساجد أن يكون ذلك عبر الصّلاة فيها وزيارتها وتشجيع النّاس على ارتيادها وبنائها، **ومن اللطائف** أن لفظ **(عسى)** إن كان متعلقًا بجانب الله فهو يفيد الوجوب، وإن كانت من غيره تفيد التّرجي[4].

---

[1] الطّبري، **جامع البيان**، ج14/ص167.

[2] قطب، **في ظلال القرآن**، مج3/ص1614.

[3] ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج10/ص142.

[4] الماوردي، **النّكت والعيون**، ج2/ص348.

ومن أبرز أشكال عمارة المساجد عبادة الله فيها، والحفاظ على ما فيها من ممتلكات، وصيانتها في حال تعطلها، وفي ذلك دلالة على صدق إيمان العبد بالله تبارك وتعالى، وخشيته ومحبته، إضافة إلى أهمية الإيمان بيوم القيامة وأداء الواجبات والفرائض كالصّلاة والزّكاة.

ومن صور التّقرب إلى الله تبارك وتعالى الإنفاق في سبيل الله، وبذلك يفوز العبد برحمة الله ورضوانه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ ﴾ [التوبة: ٩٩].

وخير النّفقة ما كانت محببة إلى نفس المعطي، ومن أطيب وأحسن ما يملكه العبد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ... وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ...﴿٢٢٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٩ – ٢٢٠].

وكذلك ذكر الله تبارك وتعالى في كل وقت وحين، وخاصة أيام حج بيت الله الحرام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

المسألة التّاسعة: تفرد الله تعالى بمُلك الملك في الدّنيا والآخرة واستحقاقه الحمد.

ما من نعمة تحيط بالعبد ظاهرة كانت أو باطنة، إلا والله وحده هو صاحب الفضل فيها، فهو من بيده الخير والشّر، والنّفع والضّر، وملكوت السّموات والأرض، فاستحق بذلك أن يكون له الحمد المطلق في الدّنيا والآخرة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [سبأ: ١].

حمد العبد لله أي مدحه والثّناء عليه، فكل ما يصدر عن الله تبارك وتعالى يستحق من العبد الحمد والشّكر، فصفات الله صفات جلال وجمال وكمال، وأفعاله إما فضل يُشكر عليه، وإما عدل له حكمته ورحمته في تقديره، ومن نماذج ذلك يوم القيامة حينما يحكم الله بين الخلق جميعًا، يرى النّاس من كمال عدله ما يفوق تصورهم فيحمدونه على ذلك، لدرجة أن أهل النّار يدخلونها وقلوبهم متيقنة أنهم دخلوها نتيجة أعمالهم

ولم يظلمهم الله تعالى في ذلك، بل كان عادلًا في إيقاع العقوبة عليهم، فيحمدونه على عدم ظلمهم رغم أن النّتيجة كانت دخول النّار[1]، وهذا الحمد التّام، والشّكر الكامل لله تبارك وتعالى؛ لأن النّعم والفضل هو مصدره وحده سبحانه لا شريك له، فيحمده على ذلك الخلق جميعًا في السّموات والأرض، في الدّنيا والآخرة، والله تبارك وتعالى هو المدبر للأمور المسير لها الذي يمنح العبد ما ينفعه، ويمنع عنه ما يضره، بتقديره الحكيم، وعلمه الشّامل، مما يحق مصلحة العباد ومنفعتهم في الدّنيا والآخرة[2] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٧٠ ﴾ [القصص: ٧].

ومن الأدلة التي تدل على تفرد الله تبارك وتعالى بمُلك الدّنيا والآخرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ٢٥ ﴾ النجم: ٢٥ وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ١٣ ﴾ [الليل: ١٣].

والآخر من أسماء الله عز وجل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣ ﴾ [الحديد: ٣].

---

(1) السّعدي، **تيسير الكريم الرّحمن**، ص674.

(2) الطّبري، **جامع البيان**، ج20/ص346.

المبحث الثّاني: أقبح صفات المتأخرين.

كما أن للمتأخرين صفات إيجابية، فإن لهم صفات قبيحة أيضًا، من أبرزها عدم الإيمان بالآخرة، أو ادعاء الإيمان بالآخرة كذبًا، والنّفاق ومحاربة بيوت الله في الأرض، والصّد عن سبيل الله تعالى، ونشر الفاحشة والفساد بين النّاس.

المسألة الأولى: عدم التّصديق بالآخرة يُعد كفرًا.

هناك فريق من النّاس لا يكتفي بالامتناع عن فعل الخير، بل يشجع غيره على عدم فعل ذلك، فإن حصل وفعل شيئًا من الخير في الظّاهر، إنما يكون يريد به وجه النّاس ومديحهم، ولا يبتغي بذلك وجه الله تعالى،
والسّبب في ذلك اعتقاده أنه لا داعي لذلك فالآخرة غير موجودة أصلًا، فاستحق بذلك العذاب المهين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨﴾ [النساء: ٣٧ – ٣٨]. يصف الله تبارك وتعالى النّاس أهل الكفر والنّفاق الذين سخروا جهودهم وأنفقوا أموالهم في خدمة الشّيطان، حتى صاروا له قرناء وأخلاء وأصحاب وأصدقاء، يأتمرون بأمره، ويلتزمون طاعته، وفوق كل ذلك يرفضون الإيمان بالله سبحانه وتعالى وينكرون يوم البعث، وهذه صفة اليهود والمنافقين وهم أسوء من اليهود في ذلك، فاليهود كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر، لكن كفرهم كان بإنكارة نبوة النّبي صلى الله عليه وسلم، فكان مصير الفريقين الخسران المبين في الدّنيا والآخرة[1]
ومن طرق إغواء الشّيطان للإنسان أن يزين له إنفاق المال ابتغاء السّمعة والشّهرة والرّياء، وطلبًا للمدح والثّناء، دون إخلاص العمل لله تبارك وتعالى، ودون ابتغاء مرضاته والأجر والثّواب منه عز وجل، فكان هذا الإنفاق المشبوه شكلًا من أشكال اتباع خطوات الشّيطان الرّجيم الذي يؤدي بصاحبه إلى دخول نار جهنم في الآخرة، فيصل المنفق المرائي في نهاية المطاف إلى إدارك حقيقة ما وقع فيه من سير في طريق الشّيطان الذي أودى به إلى مدارك الهلاك والشّقاء فكان بئس الصّاحب والقرين[2] وعندنا أمر الله تبارك وتعالى بالإحسان إلى أصحاب الحاجات، وضح أن هناك قسمان من النّاس لا يلتزم بذلك: فالصّنف الأول هو

---

(1) الطّبري، **جامع البيان**، ج8/ص356.

(2) السّعدي، **تيسير الكريم الرّحمن**، ص178.

البخيل على نفسه وعلى غيره، ولا يكتفي بذلك بل يشجع الآخرين على البخل أيضًا وقد ذمهم الله عز وجل: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ [النساء: ٣٧].

والصّنف الثّاني: الذي ينفق ماله لغير وجه الله تبارك وتعالى، بل ابتغاء أن ينال التّعظيم لدى النّاس[1] وفي بيان أن هؤلاء على غير الحق ربط الله بينهم وبين صحبة الشّيطان توبيخًا وتقريعًا وزجرًا لهم على ما يفعلون، وفي الآخرة يحشرون مع الشّياطين في النّار، فكما أطاعوا الشّيطان في الدّنيا كانوا رفقاءه في نار الآخرة[2].

فمن الأمور المحرمة التي يبغضها الله تبارك وتعالى، التّكبر والاستعلاء على النّاس، وكذلك البخل في أداء الواجبات المفروضة ودعوة النّاس إلى ذلك، وحرمة القيام بعمل يكون الهدف منه الرّياء وطلب الثّناء والشّهرة، وذم قرناء السّوء الذين يزينون الباطل لبعضهم البعض، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

المسألة الثّانية: ادعاءالإيمان باليوم الآخر كذبًا.

عادة يظهر المنافق بوجهين، وجه أمام النّاس يدعي فيه الإيمان بالله واليوم الآخر، وله في هذا الادعاء مآرب وأغراض متعددة ومتنوعة، ووجه حقيقي يظهر فيه كفره أمام شياطين الإنس والجن، وفي كل الأحوال فالله عالم بما في نفوسهم، وعالم بما تخفي الأنفس والصّدور، وبما يعلنون ويُسرون. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨﴾ [البقرة: ٨].

يدعي أهل النّفاق الإيمان بوحدانية الله تبارك وتعالى، ويدعون التّصديق بيوم القيامة وحساب الله على أعمالهم ودخولهم الجنة والنّار، ولكن الله تبارك وتعالى الذي يعلم السّر وأخفى، ويعلم حقيقة ما في النّفوس ظاهرًا وباطنًا، والمطلع على القلوب قام بتكذيبهم وتفنيد ما يدعون من إيمان به سبحانه وتعالى وتصديق بيوم

---

(1) الرّازي، **مفاتيح الغيب**، ج10/ص79.

(2) الخازن، **لباب التّأويل**، ج1/ص375.

البعث[1] ولقد نزلت هذه الآية في المنافقين معتب بن قشير، وعبد الله بن أبي بن سلول، ووجد بن قيس، حيث كانوا يخادعون المسلمين بإظهار الإيمان وإخفاء الكفر، خشية من النّبي صلى الله عليه وسلم والصّحابة رضي الله عنهم[2] ويظهر بذلك أن الإيمان ليس مجرد إقرار باللسان، بل يحتاج إلى تصديق بالقلب والعمل[3] ومن اللطائف أن الآيات بدأت بوصف أهل الإيمان المحسنين المخلصين، ثم وصفت أهل الكفر المنكرين الجاحدين المعاندين، ثم خُتمت بوصف المنافقين الذين يجمعون صفات الفريقين فهم يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر[4] فهم وافقوا في الظّاهر أهل الإيمان، ووافقوا في الباطن أهل الكفر والعصيان، فاستحقوا بذلك أن يكونوا في الدّرك الأسفل من النّار[5] فالجزاء من جنس العمل، فمن يحترف النّفاق ويخدع النّاس ويكذب عليهم، ويظهر أمامهم بغير وجه الحقيقي، فإن عاقبته ستكون من جنس عمله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا ... ﴿٢٧﴾﴾ [يونس: ٢٧] وأيضًا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٨].

المسألة الثّالثة: صفات المنافقين والكافرين بالآخرة في علاقتهم مع الله.

إن من أبرز الأشياء التي تجعل الكافر يزداد في كفره، ويتضاعف إثمه، هو صده عن دين الله تبارك وتعالى، فيصبح الكفر بذلك متأصلًا في داخله، ومتجذرًا في نفسه، فينتقل من مرحلة الكفر الفردي، إلى مرحلة الدّعوة إلى الكفر والتّشجيع عليه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم **بِٱلۡأٓخِرَةِ** كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٤٤ – ٤٥].

---

[1] مقاتل، **تفسير مقاتل بن سليمان**، ج1/ص89.

[2] البغوي، **معالم التّنزيل**، ج1/ص87.

[3] الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشّافعي، ت: 468هـ، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدّكتور عبد الرحمن عويس قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، ج1/ص86، دار الكتب العلمية للنشر والتّوزيع، لبنان – بيروت، ط1، 1415هـ – 1994م.

[4] الرّازي، **مفاتيح الغيب**، ج2/ص299.

[5] الشّوكاني، **فتح القدير**، ج1/ص48.

عندما يدخل أهل الإيمان إلى الجنة ويعيشون نعيمها، ويدخل أهل الكفر والشّرك والنّفاق إلى النّار ويجدون عذابها وجحيمها، ينادي ملك فيما بين الفريقين فيقول: ﴿ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ وصفة هؤلاء الظّالمين أنهم كفروا بالله وحاربوا دينه وشريعته في الأرض، وحاولوا أن يغيروه ويحرفوه ويبدلوه ويشوهوه ويطعنوا فيه، وفوق كل ذلك أنكروا يوم القيامة بكل ما فيه من البعث والجزاء والحساب والعقاب والثّواب[1] فلا يتصور أن يكون هناك أحد يؤمن باليوم الآخر، ويعلم أنه إلى ربه راجع، ثم تراه يعيث في الأرض فسادًا وتدميرًا، فلا تصدر مثل هذه الأفعال إلا عن أناس أصحاب نفوس مضطربة غير متبعة لشرع الله تبارك وتعالى[2] فهم يفعلون ذلك عن سبق إصرار وترصد، ويدركون خطأ ما يفعلون لكن على قلوب أقفالها[3] لذا تراهم لا يلقون بالًا ولا يعيرون أهمية لما يصدر عنهم من منكرات الأقوال والأفعال، فهم يظنون أن لا حساب لهم على ذلك، فيزيدهم هذا ظلمًا وطغيانًا فهم شر الخلق عملًا وقولًا[4] ولا يكتفون بالكفر الذّاتي، إنما يتعدى شرهم إلى منع غيرهم من الإيمان ويستخدمون في سبيل ذلك كافة الوسائل والسّبل ترهيبًا وترغيبًا، بالقهر والزّجر، وإلقاء الشّبهات وتزيين الشّهوات، لكن أنّى لهم النّجاح في ذلك، فالعاقبة لأهل التّقوى[5] وتواصل أهل أهل الجنة مع أهل النّار، فيه زيادة لنعيم أهل الجنة، وحسرة إضافية لأهل الجحيم، فيشكر المؤمن ربه أن لم يكن من أهل النّار، ويتحسر الكافر على أنه لم يكن من أهل الجنة، ومن باب التّهكم على أهل الكفر والنّفاق يستخدم أهل الجنة معهم لفظ (الوعد)، وفي ذلك تنديد بمن آثر الصّد عن سبيل الله تعالى واختار لنفسه بذلك الشّقاء في الدّارين.

المسألة الرّابعة: التّقلب في عبادة الله تبارك وتعالى.

إن الثّبات على طاعة الله تبارك وتعالى من الأمورة العزيزة، التي لا ينالها المرجفون المتذبذبون، الذين يتعاملون مع الله تعامل التّجار، فإن نالوا ما أرادوا اطمأنوا، وإن حصل خلاف هواهم انتكسوا وانقلبوا على أعقابهم خسروا الدّنيا والآخرة.

---

[1] الطّبري، **جامع البيان**، ج12/ص448.
[2] قطب، **في ظلال القرآن**، مج1293/3.
[3] البغوي، **معالم التّنزيل**، ج2/ص194.
[4] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج3/ص375.
[5] الرّازي، **مفاتيح الغيب**، ج14/ص247.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١﴾ [الحج: ١١].

يوجد جماعة من النّاس تتعامل مع الله تبارك وتعالى بناءً على مصالحها الخاصة، فهم يعيشون حالة من التّذبذب والتّخبط والظّن والشّك، فإن أصابهم الخير والسّعة والرّغد في العيش شعروا بالرّاحة والاطمئنان وثبتوا على دين الإسلام، وإن أصابهم غير ذلك كضيق العيش والضّنك والتّعب ارتدوا على أعقابهم وعادوا إلى ما كانوا عليه من الكفر بالله تبارك وتعالى[1] فقد وردت أن الآية نزلت في قوم من الأعراب كانوا يهاجرون من البادية إلى المدينة المنورة، فإن تغيرت أحوالهم في المدينة من النّاحية الصّحية فقويت أبدانهم، ومن النّاحية الاقتصادية فربحت تجارتهم وزادت أموالهم، وولدت زوجته غلامًا سليمًا، وأنتجت فرسه مهرًا حسنًا، كان قوله أن هذا الدّين جيد، وإن حصل خلاف ذلك بأن اعتلت صحته، وكانت المولدة جارية، وخسرت تجارته، ومات المُهر، كان قوله أن هذا الدّين ليس بجيد ولا يأتي منه خيرًا، فينقلب على عقبيه ويرتد عن الدّين، فأمثال هؤلاء يعبدون الله على حرف أي: على شك فالإيمان لم يترسخ لديه ولم يثبت في قلبه، ولو أن ذلك حصل لعلم أن ما يصيبه من السّراء والضّراء هو خير له سواء علمه أو لم يعلمه وأن لله في كل ذلك حكمة ورحمة[2] وكان هؤلاء القوم عند حصول الخير لهم، يقولون أن دينهم القديم ما هو إلا أساطير الأولين، وأن الآلهة التي كانوا يعبدونها لا تنفع ولا تضر، ولو كان في مقدورها ذلك لانتقمت منهم على ترك عبادتهم لها، وإن حصلهم لهم شر أو مكروه تركوا دين الإسلام، وتوهموا أن ما وقع لهم من سوء ما هو إلا غضب من آلهتهم القديمة بعد تركهم لعباداتها فما حال هؤلاء إلا كالقشة في الهواء لا يثبتون على موقف ولا يصبرون على حال[3] خسروا الدّنيا فلا نعيم لهم فيها ولا مال ولا جاه ولا ولد ولا عز ولا سلطان ولا ثناء حسن، وخسروا الآخرة وما فيها من نعيم وأجر عظيم أعده الله للمؤمنين، وهذه قمة الخسارة التي لا مثيل لها ولا يعوضها بعد ذلك شيء[4].

فعبادة العبد لله تبارك وتعالى دون يقين تجعلها عبادة غير مقبولة، فلا ينتفع بثمرتها، ولا يجتمع في قلب العبد شك مع إيمان، فمن دخل الشّك إلى قلبه فقد خسر الدّنيا والآخرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ١٤٣﴾ [النساء: ١٤٣].

---

[1] الطّبري، **جامع البيان**، ج18/ص575.

[2] البغوي، **معالم التّنزيل**، ج3/326.

[3] ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج17/ص211.

[4] القِنّوجي، **فتحُ البيان**، ج9/ص21.

ومن صفات غير المؤمنين بالآخرة، أنهم يبذلون جهدهم في الصّد عن سبيل الله ومحاربة دينه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ١٩﴾ [هود: ١٩].

فهم في حالة شك دائم بوجود الآخرة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ٦٦﴾ [النمل: ٦٦] فيرسبون في كل اختبار يفحص صدق إيمانهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٢١﴾ [سبأ: ٢١] نتيجة انغماسهم في ملذات الحياة الدّنيا وغفلتهم عن الآخرة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧﴾ [الروم: ٧].

المسألة الخامسة: محاربة بيوت الله في الأرض.

كما أن أفضل العبادات هي عمارة بيوت الله في الأرض، فإن أشد الظّلم هو السّعي في خرابها، وإفقادها دوري الرّئيس والجوهري في صناعة النّهضة وبناء الأجيال وإعداد قادة المستقبل، وجعلها تفقد رسالتها السّامية في المجتمع، فتوعد الله هؤلاء المفسدين بالخزي والعذاب في الدّنيا والآخرة. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١٤﴾ [البقرة: ١١٤].

الظّلم مراتب والظّالمون أصناف متعددة، وأشدهم ظلمًا وطغيانًا وإفسادًا من انتهك حدود الله وحرماته ولم يلتزم بأوامره، وارتكب نواهيه، وفي مقدمتها منع النّاس من عبادة الله في المساجد، والمقصود بالمسجد: هو كل مكان يعبد الله تبارك وتعالى فيه، والظّلم يقصد به: وضع الشّيء في غير مكانه المناسب[1] ومنع العبادة في المساجد تكون من خلال منع ذكر الله فيها، ومنع إقامة الصّلاة وغيرها من القربات، وذلك عن سبق إصرار وترصد وسعي وبذل للجهد في سبيل تحقيق هذا المنع، وتخريب المساجد يكون عن طريق أمرين، أولهما الخراب الحسي: فيقوم بهدمها وتدميرها ووضع القاذورات فيها، وثانيهما الخراب المعنوي: عبر محاربة دين الله تبارك وتعالى ومنع النّاس من ذكر اسم الله فيها، فكان جزاؤهم من جنس عملهم بأن منعهم الله من دخولها إلا وهم في حالة من الذّل والخوف والرّعب، فأخافهم الله لما تجرؤوا أن يخيفوا عباده، وأذاقهم الله الخزي ومرارة الفضيحة في الدّنيا، وجعلهم مصيرهم عذاب النّار في الآخرة، ومن اللطائف أنه بمفهوم

---

(1) الطّبري، **جامع البيان**، ج2/ص519.

المخالفة، إن كان لا يوجد أظلم ممن سعوا إلى تخريب بيوت الله ومنعوا ذكر اسم الله فيها، فبالتالي لا يوجد أعظم إيمانًا وأجرًا وثوابًا ممن سعى إلى عمارة بيوت الله تبارك وتعالى عمارة مادية ومعنوية[1]، وفي ذلك يقول تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٨].

ومن أشكال الحفاظ على حرمة بيوت الله في الأرض، عدم التّعرض لها بأي شكلٍ من أشكال المساس بسوء، ووجوب حمايتها وعدم السّماح بدخول الكفار إليها إلا إن دعت ضرورة لذلك وهم في حالة من الذّل والصّغار، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ٢٨].

المسألة السّادسة: استحباب الدّنيا على الآخرة والصّد عن سبيل الله.

إن أجهل الجاهلين من يشتري الدّنيا الفانية، ويبيع الآخرة الباقية، ويدعو غيره إلى ذلك بالقول والفعل، فهؤلاء قد أضلهم الله في الدّنيا، وجعل مصيرهم النّار في يوم القيامة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣].

إن من صفات أهل الكفر والنّفاق إيثار ما فيه الدّنيا من نعيم عاجل، على ما هو في الآخرة من نعيم آجل، فتصبح القلوب مليئة بالشّهوات التي يترتب عليها الصّد عن سبيل الله، سواء أكان هذا الصّد للآخرين بمنعهم من دخول دين الإسلام، أو كان صدًا لأنفسهم بحرمانها من لذة الإيمان والسّير في طريق الخير والحق، واتباع طرق الغواية والشّبهات والشّهوات، ومن اللطائف وصف الضّلال بالبعيد والمقصود بالبُعد أهل الضّلال لابتعادهم عن طريق الله[2] ولقد توعد الله تبارك وتعالى هؤلاء القوم بأشد العذاب في جهنم، كونهم تعلقوا بالدّنيا وكان هذا التّعلق سببًا في غفلتهم عن الآخرة، أما من أحب الدّنيا وجعلها وسيلة للوصول إلى نعيم الآخرة فلا يضره ذلك ولا يشمله الذّم أو العذاب[3] علمًا أن أهل الكفر والنّفاق لم يكتفوا بالصّد عن سبيل

---

(1) البغوي، **معالم التّنزيل**، ج1/ص156.

(2) ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج13/ص184.

(3) البقاعي، **نظم الدّرر**، ج20/ص78.

الله، بل حاولوا تشويه هذا الطّريق والتّشكيك فيه عبر إلقاء الشّبهات، وبذلك وصلوا إلى قمة الفساد والضّلال[1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [النحل: ١٠٧].

المسألة السّابعة: محبة نشر الفاحشة بين النّاس في المجتمع.

أهل الكفر والنّفاق يعيشون عقدة نقص، فهم لا يحبون رؤية الفضيلة في المجتمع، ولا يرغبون أن يكون هناك أحد أفضل منهم، لذلك لا يدخرون جهدًا في نشر الموبقات في المجتمعات، فاستحقوا العذاب في الدّارين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النور: ١٩].

المجتمع المسلم قائم على أساس الأمان الأخلاقي، لكن هناك جماعة من النّاس تحاول هدم ذلك فيمتهنون باحتراف واستمتاع نشر الفساد الأخلاقي بين أهل الإيمان في المجتمع وفي مقدمة ذلك فاحشة الزّنا وهتك الأعراض واتهام النّاس بذلك، فتوعدهم الله تبارك وتعالى بالعذاب الموجع الشّديد في الدّنيا عبر إقامة حد القذف عليهم، أما في الآخرة فينتظرهم دخول جهنم إن ماتوا على ذلك دون توبة صادقة نصوحة[2] وهذه العقوبة الشّديدة جاءت نتيجة خطر ما يشكله انتشار الفاحشة على الأمن المجتمعي والسّلم الأهلي فيه وإيقاع الفتنة بين النّاس، وتحول الفواحش فيهم إلى أشياء عادية وقد سبق علم الله في ذلك بالدلالة على شدة ذنب القذف وعقوبة فاعله[3] وخاصة أولئك الذين وصل بهم الضّلال إلى رمي بيت النّبوة الأكرم بالفاحشة، فقد هدفوا إلى زعزعة أمن وإيمان المجتمع، وثقته بعنوان العفة والطّهارة في الدّولة الإسلامية، وبالتّالي إزالة الحرج من النّفوس بالتجرئ على ارتكاب الفاحشة، وتصويرها على أنها حدث طبيعي لم يسلم منه حتى بيت النّبوة.[4]

---

[1] النّيسابوري، **غرائب القرآن**، ج4/ص171.

[2] الطّبري، **جامع البيان**، ج19/ص133.

[3] القِنّوجي، **فتحُ البيان**، ج9/ص187.

[4] قطب، **في ظلال القرآن**، مج4/ص2503.

ولا يقدم على مثل هذا الفعل الشّنيع إلا محب لنشر الفاحشة، وحبه لنشرها دلالة على مدى بعده عن الدّين وطريق الاستقامة، فهو يتفنن ويحترف نشرها قولًا وفعلًا ويدافع عنها ويضع لأصحابها المبررات فأمثال هؤلاء هم الخطر الأشد على المجتمع وأهله، لذا استحقوا العقوبة في الدّنيا والآخرة، فهم ضالون مضلون.[1] فاتباع خطوات الشّيطان ما هي إلا طريق نحو الوقوع في المحرمات، والاستمرار في ذلك يجعل من العبد شيطانًا في تصرفاته وأقواله وأفعاله فيصبح متبوعًا لا تابعًا، قَالَ تَعَالَى:﴿ ...وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة: ١٦٨] ويركز دعاة الفسق على تشويه سمعة الشّرفاء من أهل الإيمان، لضرب القدوات في المجتمعات، لذلك توعد الله من يفعل ذلك بالعذاب في الدّنيا والآخرة، قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النور: ٢٣].

---

[1] البقاعي، **نظم الدّرر**، ج13/ص234.

المبحث الثَّالث: المتأخرون وجزاء أعمالهم في الدُّنيا والآخرة.

ما من عمل يفعله العبد في حياته، وإلا ويكون له جزاء من الله تبارك وتعالى عليه، سواء أكان هذا الجزاء في الدّنيا أو الآخرة، أو كان هذا الجزاء خيرًا أو شرًا بحسب ما صدر عن العبد، وفي ذلك تمام العدل الإلهي.

المسألة الأولى: أصناف النّاس في طلب الحياة الدّنيا والآخرة.

النّاس في طلبهم للحياة الدّنيا والآخرة، ليسوا على حد سواء، وليسوا على درجة واحدة، فمنهم من يستحب الدّنيا على الآخرة، ومنهم العكس، ومنهم من يوازن بين الأمرين دون إفراط أو تفريط وهو الأفضل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

يدعو أهل الإيمان والصّلاح الله تبارك وتعالى أن يكرمهم بحسنة الدّنيا وهي ما يعينهم على الكفاف والاكتفاء من الرّزق والعافية وعدم الحاجة إلى سؤال النّاس، وحسنة الدّنيا وخير متاعها الزّوجة الصّالحة الطّيبة، والبيت الواسع، والعلم النّافع وطاعة الله واجتناب معصيته والفوز بنعمة القرآن ودخول الإسلام، وكذلك يسألونه سبحانه وتعالى أن يرزقهم حسنة الآخرة وهي رضاه عنهم وليس بعد رضاه إلا الجنة، وما فيها من نعيم الحوار العين والفوز برحمة الله ومغفرته ورضوانه[1] فمن لم يدخل الجنة وينجو من النّار فقد أصابه الحرمان من الحسنات كلها ولم يذق من معاني العافية شيئًا[2] ومن أهل الإيمان جماعة يسألون الله تبارك وتعالى حسنة الدّنيا والآخرة دون أن يحددوا نوعها، بل يتركون ذلك لاختيار الله عز وجل، مع كامل التّسليم لاختياره سبحانه والرّضا به[3] فكانت هذه الدّعوة جامعة وجالبة لكل خير في الدّنيا والآخرة، ودافعة لكل شر في الدّارين[4] فالمسلم عليه أن يكون في مجال الخير مستكثرًا منه وطموحًا ترقى به همته إلى معالي الأمور، وأن يكون في ذات الوقت مُحجِمًا عن ارتكاب الذّنوب والمعاصي، ويكثر من قول اللهم آتني في الدّنيا حسنة

---

(1) القِنّوجي، **فتحُ البيان**، ج1/ص410.

(2) الطّبري، **جامع البيان**، ج4/ص206.

(3) قطب، **في ظلال القرآن**، مج1/ص201.

(4) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج1/ص416.

وفي الآخرة حسنة وقني عذاب النّار، فهو دعاء يجمع خير الدّنيا والآخرة. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ١٣٤ ﴾ [النساء: ١٣٤].

المسألة الثّانية: الفوز بالدّار الآخرة عبر الأعمال الصّالحة.

الإنسان في هذه الحياة الدّنيا في حالة سعي دائم ومستمر، الهدف منه تحصيل أعلى درجات الجنة في الآخرة، فهو يعلم أن الدّنيا مزرعة يبذر ويزرع فيها أعمال الخير، ليجني ثمارها وحصادها في دار الآخرة الباقية.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩ ﴾ [الإسراء: ١٩].

العمل للآخرة يكون عبر طاعة الله تبارك وتعالى، والتّقرب إليه بفعل الأفعال التي تُرضيه، وبوابة قَبول هذه الأعمال هي الإيمان بالله، فلا يُقبل العمل دون إيمان، والتّصديق بما أعده الله لعباده المؤمنين من حسن الجزاء والثّواب على أعمالهم الصّالحة[1] ويشترط في العمل الصّالح كي يكون مقبولًا عند الله أن يفعله العبد وفق ما جاء عن النّبي صلى الله عليه وسلم، فيكون بهذا العمل متبعًا لا مبتدعًا، فطريق الوصول هو اتباع الرّسول عليه الصّلاة والسّلام[2] ولا بُد لهذا العمل الصّالح بعد المتابعة، من إخلاص النّية لوجه الله تبارك وتعالى، فمن لم تكن نيته صادقة والهدف من عمله ابتغاء مرضاة الله تعالى، لم يكن لينتفع بهذا العمل أو يحصل منه على الأجر والثّواب[3] فمن اجتمعت لديه هذه الشّروط فقد سعى السّعي المطلوب، بالتزام الطّاعات واجتناب المنكرات، واستحق حينها أن يُوصفَ عمله بأن عمل مشكور، وشكر الله للعبد بأن يكرمه بالثّواب على الطّاعة، وأن يتجاوز برحمته عنه فيغفر له ما وقعه منه من سيئات وذنوب وخطايا.[4]

وسعي الإنسان في الدّنيا يكون عبر عمارة الأرض والاستخلاف فيها، أما سعيه للدار الآخرة فيكون من خلال تقديم الأعمال الصّالحة والقربات والطّاعات، واجتناب المعاصي والنّواهي، فالدّنيا ينال حظه منها

---

[1] الطّبري، **جامع البيان**، ج17/ص410.

[2] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج5/ص58.

[3] الرّازي، **مفاتيح الغيب**، ج20/ص317.

[4] البيضاوي، **أنوار التّنزيل**، ج3/ص251.

المؤمن والكافر، لكن الآخرة لا حظ فيها إلا لمن أحبهم الله وأحبوه وأطاعوه وهم أهل الإيمان والعمال الصّالح والتّقوى. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٥ – ٧].

المسألة الثّالثة: حسن ثواب الله لعباده في الآخرة.

أهل الإحسان هم أهل الله وخاصته، الذين آثروا غيرهم على أنفسهم، واستحبوا ما عند الله على ما عند النّاس، واختاروا الآخرة على الدّنيا، فجزاهم الله أن أكرمهم بمحبته وحسن ثواب الدّنيا والآخرة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٤٨﴾[آل عمران: ١٤٨].

أكرم الله عباده المؤمنين بسبب طاعتهم له، بثواب الدّنيا وهو النّصر على الأعداء، وتحصيل الغنائم منهم، وفتح البلاد وقلوب العباد وانتشار الإسلام، والفوز بالذّكر الحسن والسّمعة الطّيبة بين النّاس، وأضاف إلى ذلك حسب ثواب الآخرة بالخلود الأبدي في الجنة والاستمتاع بنعيمها إلى ما لا نهاية(1)، وما نالوا كل ذلك بعد فضل الله عليهم ورحمته بهم، إلا بما قدموه من صبر وبذل وتضحية وجهاد للأعداء، ومداومة على طاعة الله تبارك تعالى، واجتناب معصيته، والاستعانة بالله والتّوكل عليه في الأمور كلها، والسّير في طريق الصّالحين المصلحين، واتباع منهج الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم(2)، فكان هؤلاء نموذجًا يقتدى ويحتذى به، فهم حينما أخلصوا نواياهم لله تبارك وتعالى، وجعلوا غايتهم نيل رضوانه عليهم، وهدفهم نصرة دين الله تعالى، ولم يكن لأنفسهم من ذلك حظ أو نصيب، استحقوا أن يعطيهم الله من عنده أعظم مما كانوا يتخيلون وأفضل مما كانوا يتصورون، فنالوا بذلك ما أرادوا وزيادة، فكانت شهادة الله لهم بالإحسان ووصفهم بالمحسنين وحبه لهم أعظم نعمة وأجمل ثواب وأفضل عطية ينالها المحب من محبوبه، والحمد لله في الأولى والآخرة(3).

---

(1) أبو السّعود العمادي، **إرشاد العقل السّليم**، ج97/2.

(2) الطّبري، **جامع البيان**، ج7/ص275.

(3) قطب، **في ظلال القرآن**، ج4/ص489.

المطلب الثّاني: جزاء المتأخرين من الشّر في الدّنيا والآخرة.

يعاقب الله من انحرف عن طريق الخير والطّاعات، وأصر على فعل الشّر والمنكرات، بالعذاب الشّديد في الدّنيا والآخرة، عدا عن بقائه في مستنقع الضّلال والعذاب النّفسي والجسدي جزاءً له على أعماله السّيئة.

المسألة الأولى: إنكار أي ركن من أركان الإيمان يُعد كفرًا وضلالًا.

إن الجحود وإنكار أي ركن من أركان الإيمان، كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره، يُعد من الكفر الذي يخرج صاحبه من ملة الإسلام والمسلمين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦ ﴾ [النساء: ١٣٦].

يوجه الله تبارك وتعالى الخطاب إلى أهل الإيمان، فيأمرهم بالإيمان به سبحانه وتعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، والإيمان بالنّبي صلى الله عليه وسلم خاتمًا للأنبياء والمرسلين ومبعوثًا للنّاس جميعًا، والإيمان بالقرآن الكريم الذي أنزله على الله النّبي صلى الله عليه وسلم بواسطة الوحي جبريل عليه السّلام، والإيمان بالكتب السّماوية التي نزلت من قبل القرآن وهي التّوراة والإنجيل[1]) ثم جاء الأمر من الله عز وجل إلى أهل الإيمان بضرورة الثّبات على الإيمان بالأمور سابقة الذّكر؛ لأن الكفر بها أو بأي جزء منها يوصل ذلك العبد إلى الوقوع في الضّلال البعيد، فمن كفر بتوحيد الله وأشرك في عبادته، أو أنكر نبوة النّبي صلى الله عليه وسلم، أو جحد الإيمان بالملائكة أو الكتب السّماوية أو الأنبياء والرّسل أو اليوم الآخر بما فيه من ثواب وعقاب، فهذا الكفر انحراف عن طريق الهدى والخير، يؤدي بصاحبه إلى الخزي في الدّنيا والعذاب في الآخرة[2].

ومن الواجب على العبد التّوبة إلى الله تبارك وتعالى ومواصلة تقوية إيمانه بكثرة الطّاعات وتجنب المحرمات، والالتزام بأركان الإيمان السّتة وهي الإيمان بالله عز وجل، والإيمان بالملائكة والكتب والرّسل واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره للنجاة من الوقوع في الضّلال ودخول الجنة.

---

[1] الطّبري، **جامع البيان**، ج9/ص312.

[2] طنطاوي، **التّفسير الوسيط**، ج3/ص346.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ...٨﴾ [التحريم: ٨].

المسألة الثّانية: العذاب مصير المكذبين بآيات الله واليوم الآخر.

من جاءتهم الآيات الباهرة، والمعجزات القاهرة، والدّلائل الدّامغة على صحة معتقد أهل الإيمان، لكن اختاروا الكفر على الإيمان، والباطل على الحق، والضّلال على الهدى، فأولئك مصيرهم العذاب الأليم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ١٦ ﴾ [الروم: ١٦].

من كفر بالله تبارك وتعالى فلم يؤمن بوحدانيته، وأنكر الإيمان به، وقام بتكذيب الأنبياء والرّسل، ولم يصدق باليوم الآخر وما فيه من البعث والحشر والنّشر والحساب والجزاء والثّواب والعقاب، استحق أن يُعذبه الله في نار جهنم ليدرك حينها يقينًا أن ما كان ينكره ويجحده ويكذب به هو حق وحقيقة[1] وبقاء الكفار في هذا العذاب هو بقاء دائم مستمر، والإقامة أبدية كعقاب عادل لهم من الله على كفرهم رغم ما جاءهم من الآيات الدّالة والبراهين الدّامغة والحقائق الواضحة على وحدانية الله وصدق الأنبياء والرّسل، إلا أنهم رفضوا الإيمان فوقعوا في العذاب الذي لا هروب ولا نجاة منه[2] ويشترك في هذا العذاب التّابع والمتبوع فيجمع الله بينهم، فهم في النّار وجحيمها محضرون[3] ومن العذاب النّفسي الذي يلاقيه الكافر أن الله تبارك وتعالى ذكر في البداية حال أهل الإيمان وما يجدونه من النّعيم والثّواب فيصل جزاء المؤمن إليه قبل وصول العقاب إلى الكافر، فيشاهد الكافر ويتحقق من حصول النّعيم للمؤمن فيكون ذلك شاقًا على نفسه وحسرة عليه فوق عذابه، ولولا ذلك أي لو دخل الكافر النّار قبل أن يتحقق من نعيم أهل الإيمان لاعتقد أن الكل مشترك في العذاب وهم في الجحيم سواء[4].

---

(1) الطّبري، **جامع البيان**، ج20/ص83.

(2) طنطاوي، **التّفسير الوسيط**، ج11/ص72.

(3) الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، ت: 333هـ، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السُنة)**، تحقيق: د. مجدي باسلوم، ج8/ص257، دار الكتب العلمية للنشر والتّوزيع، لبنان – بيروت، ط1، 1426هـ – 2005م.

(4) الرّازي، **مفاتيح الغيب**، ج25/ص85.

المسألة الثّالثة: مصير المسرفين في الذّنوب يوم القيامة.

يدرك أهل الكفر والنّفاق في داخل أنفسهم أنهم ما عليه هو الباطل، وأن دعوتهم وأوثانهم وأصنامهم ما هي إلا مجرد أوهام، لا تضر ولا تنفع، لكنه العناد والغرور ما يدفعهم للإصرار على السّير في طريق الباطل، وهم يعلمون النّتيجة مسبقًا وأن مآلهم إلى النّار وبئس المصير. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾﴾ [غافر: ٤٣].

يوجه النّبي صلى الله عليه وسلم القول إلى أهل الشّرك فيقول لهم أن ما يدعونه إليه من عبادة الأوثان، هي دعوة باطلة، فالأوثان والأصنام لا تنفع ولا تضر، ولا تستجيب لأحد في الدّنيا ولا في الآخرة؛ لأنها عبارة عن جماد[1] وهي لا تدعي بأي حال من الأحوال الرّبوبية أو الألوهية، بل تتبرأ يوم القيامة ممن كانوا يعبدونها، يوم يجازي الله كل نفس بما كسبت[2] فيدخل أهل الإسراف وهم الذين أشركوا وكفروا إلى النّار دخولًا أبديًا ملازمًا[3] وهذا من الأمور الثّابتة التي لا شك فيها، وحينها يدركون أن عبادتهم للأصنام والأوثان كانت عبادة باطلة لا تسمن ولا تغني من جوع ولا قيمة ولا وزن لها عند الله أبدًا[4] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٧].

والفرق شاسع جدًا بين فريق الدّعوة إلى الله والخير والطّاعة والعبادة ودخول الجنة، وفريق الدعوة إلى سبيل الشّيطان والشّر والمعصية وعبادة الأصنام ودخول النّار، فالفرق كبير جدًا بين من يدعو الله العلي العظيم الحكيم اللطيف الخبير القدير، وبين من يدعو غير الله ممن لا ينفع ولا يضر ولا يسمن ولا يغني من جوع. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾ [الأعراف: ١٩٤ – ١٩٥].

---

[1] الطّبري، **جامع البيان**، ج21/ص391.

[2] البغوي، **معالم التّنزيل**، ج4/ص113.

[3] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج4/ص562.

[4] طنطاوي، **التّفسير الوسيط**، ج12/ص295.

المسألة الرّابعة: العذاب الشّديد في الآخرة لمن يدعي نسبة الألوهية لسيدنا عيسى عليه السّلام.

لقد كرم الله سيدنا عيسى عليه السّلام، بأن جعل مولده دون أب آية من الآيات المعجزة، وإن أي ادعاء لألوهية عبد الله ونبيه عيسى هو ضرب من ضروب الكفر، الذي يستحق القائل به العذاب الشّديد في الدّنيا والآخرة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [آل عمران: ٥٥ – ٥٦].

يوجه الله تبارك وتعالى الخطاب إلى نبيه عيسى عليه السّلام، فيقول له أن الذين أنكروا نبوته، ولم يتبعوا شريعته، ولم يصدقوا ما جاء به من الآيات والهدى والبينات، وقالوا عنه الكذب والأباطيل، ونسبوه إلى غير ما ينبغي له، فإن مصير هؤلاء جميعًا أن يعذبهم الله عذابًا شديدًا في الدّنيا بالقتل وتسليط الذّل عليهم حيثما كانوا، وفي الآخرة بدخول النّار والخلود فيها، فلا شفيع لهم ولا مانع للعذاب عنهم جزاءً لهم بما كسبوا وعما قالوا وفعلوا[1] وفي وصف الله تبارك وتعالى للعذاب بالشّدة دلالة على أن قوة هذا العذاب تزداد وتتضاعف في الدّنيا والآخرة، وسيحل بهم عقاب الله في أي لحظة فهم يترقبون وينتظرون مما يضاعف عذابهم النّفسي فيبقون في كل لحظة على خشية ووجل من حلول العذاب في الدّنيا[2] وأما عن عذاب الدّار الآخرة فغضب الله عليهم وحرمانهم الأجر والثّواب، ولا شفيع لهم فيشفع ولا مدافع عنهم فللعقاب يدفع ولا ناصر لهم من قريب أو غريب، ولا حتى أنفسهم تستطيع أن تفعل لهم شيئًا، الكل تخلى عنهم[3] فإن كان هذا الخطاب موجهًا إلى نبي الله سيدنا عيسى عليه السّلام، فالعبرة بعموم اللفظ فيستفاد منه توجيه التّحذير إلى المشركين الذين تعرضوا للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أن كفوا أيديكم وظلمكم قبل أن يأتي عليكم لا ينفعكم فيه أحد وسيكون تكبركم وحسدكم وعنادكم وبالًا وحسرة عليكم[4].

---

[1] الطّبري، **جامع البيان**، ج6/ص465.

[2] أبو حيان الأندلسي، أثير الدّين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، ت: 745هـ، **البحر المحيط في التّفسير**، تحقيق: صدقي جميل، ج3/ص180، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، – بيروت، دط، 1420هـ – 2000م.

[3] السّعدي، **تيسير الكريم الرّحمن**، ص132.

[4] ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج3/ص261.

وسيدنا عيسى عليه السّلام هو نبي من أنبياء الله تعالى وقد ذكر الله من أحواله وأوصافه مع قومه ما يدل على ذلك، وبالتالي تبطل دعوى من نسبه إلى الألوهية.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة: ١١٦].

وقد نهى القرآن الكريم أهل الكتاب عن المغالاة والمبالغة في الدّين والقول على الله بغير علم، ووضح لهم حقيقة سيدنا عيسى عليه السّلام أنه عبد الله ورسوله، وأن سبيل النّجاة في الدّنيا والآخرة هو الإيمان بعقيدة التّوحيد وليس التّثليث.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء: ١٧١].

المسألة الخامسة: الاغترار في الحياة الدّنيا يؤدي إلى العذاب.

العاقل يعلم أن هذه الدّنيا فانية، ونعيمها زائل، وأنها مهما طالت ستنتهي، فلا خلود فيها لأحد، وأن كل نعيم دون الجنة ما هو إلا لذة مؤقتة سرعان ما أن تنتهي، لذا يشتري ما عند الله، ولا يبتغي من الدّنيا إلا ما قُدر له بالحلال الطّيب، كي لا يكون الحرام وبالًا عليه، وسبب شقائه في الدّنيا والآخرة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠].

يوجه الله تبارك وتعالى الخطاب إلى النّاس فيعلمهم أن الحياة الدّنيا متاعها ليس بذلك الشّيء العظيم فما هو إلا شكل من أشكال اللهو واللعب والزّينة المؤقتة والتّفاخر بكثرة المال وأعداد الأولاد[1] وبناءً على ذلك

---

[1] الطّبري، **جامع البيان**، ج23/ص193.

فالدّنيا عند مقارنتها بالآخرة، فمتاعها قليل، فالأمور العظيمة تكون في الآخرة كحصول المغفرة والرّحمة والعفو والشّفاعة ورضوان الله، وفيها يكون العذاب الأليم ودخول الجحيم، وبالتّالي فالدّنيا لا تُغري إلا من كان قلبه خاويًا من الإيمان وفارغًا من التّقوى وكان منشغلًا بملذاتها المنقطعة، فحالها أشبه بنبات نزل عليه الغيث فلما بدت عليه شيء من علامات النّضج نال إعجاب الكفار فاستهواهم النّعيم المعجل الفاني، وجعلهم في غفلة عن الحياة الآخرة الباقية، فأرسل الله عليه العلل والعاهات فتغير حاله وأصبح حطامًا، وهكذا هو نعيم الدّنيا يفنى ولا يبقى، فكان ذلك عقوبة من الله لهم على جحودهم وإنكارهم فضل الله عليهم[1] وذكر الله تبارك وتعالى الكفار بشكل خاص؛ لأنهم أحرص النّاس على الحياة وأكثرهم تمسكًا بالدّنيا وأشدهم إعجابًا[2] وبالتّالي فهذا يعني أن أهل الإيمان لهم حظهم ونصيبهم من الدّنيا فما كان ضروريًا ومن الطّاعات التي توصل إلى جنة الآخرة، فهو غير مندرج ضمن الذّم الواقع على الحياة الدّنيا في هذه الآية الكريمة[3].

فالسّعي إلى الدّار الآخرة التي فيها الحياة والسّعادة الأبدية أمر مطلوب قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

ومن الأمور الضّرورية الزّهد في الحياة الدّنيا والحذر من التّعلق بها أو الانجرار خلف شهواتها وملذاتها الفانية أو التمسك بحطامها الزّائل، وأهمية المسارعة إلى عمل الصّالحات والطّاعات التي تكون سببًا في نيل رحمة الله المؤدية للنجاة من النّار ودخول الجنة، التي مفتاحها الإيمان بتوحيد الله وما يرافقه من العمل الصّالح ابتغاء وجهه الكريم. قَالَ تَعَالَى:﴿ ... فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠].

المسألة السّادسة: مجيء اليهود لفيفًا عند قدوم وعد الآخرة.

إن وجود بني إسرائيل في الأرض المباركة، هو وجود مؤقت، حيث توعدهم الله تبارك وتعالى بالزّوال بسبب إفسادهم في الأرض، وسعيهم في خرابها، واحتلالها واغتصاب ما لا يملكون، واعتدائهم على أصحاب الحق الأصلي من أهل فلسطين.

---

[1] الزّمخشري، **الكشاف**، ج4/ص479.

[2] ابن جزي، **التّسهيل**، ج2/ص347.

[3] أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، ج10/ص109.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٤].

أراد فرعون بعقليته الإقصائية أن يحارب ويطرد سيدنا موسى عليه السّلام ومن آمن معه من بني إسرائيل من الأرض، فعاقبه الله على سوء قصده، بأن أغرقه هو ومن معه في البحر، وأكرم موسى وبني إسرائيل بالنّجاة، فلما هلك فرعون وجنده، أسكن الله بني إسرائيل في أرض مصر والشّام، وقال لهم إذا حانت السّاعة وهي وعد الآخرة، فإنه سيأتي بهم من القبور إلى ساحة يوم القيامة لفيفًا، أي: مختلطين لا يعرف بعضكم بعضًا، في موقف لا ينحاز فيه أحد منكم إلى قبيلته وعشيرته[1] وفيكم أهل الإيمان وأهل الكفر، وأهل الإحسان وأهل الفجور، وقالوا وعد الآخرة يقصد به مجيء سيدنا عيسى عليه السّلام من السّماء[2] فيحكم الله فيما بينكم فتنقسمون بعد هذا الحكم إلى سعداء وأشقياء[3] واللفيف هو الجمع العظيم فيه أهل الشّرف وأهل الدّناءة وأهل الطّاعة وأهل المعصية والأقوياء والضّعفاء.[4]

وحشر الله تبارك وتعالى للناس في يوم الحساب يكون لفيفًا حيث يجمعهم في مكان واحد من أصناف عدة وأجناس مختلفة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الكهف: ٤٧].

ويوجه الله تبارك وتعالى الخطاب لليهود فيقول لهم أن إحسانهم عائد لهم وأن إساءتهم يتحملون نتيجتها، وأن وعد الآخرة بتدميرهم نتيجة إفسادهم هو حقيقة حتمية سيرونها ماثلة أمام أعينهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ **ٱلْءَاخِرَةِ** لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٧].

---

(1) الطّبري، **جامع البيان**، ج17/ص572.

(2) البغوي، **معالم التّنزيل**، ج3/ص166.

(3) الزّمخشري، **الكشاف**، ج2/ص698.

(4) الرّازي، **مفاتيح الغيب**، ج21/ص416.

المسألة السّابعة: إحباط أعمال الكافرين وخسرانهم في الآخرة.

من القواعد التي وضعها الله تبارك وتعالى في التّعامل مع الخلق، أن الجزاء من جنس العمل، فمن كذب بآيات الله عز وجل، وأنكر وجود يوم القيامة بما فيه من أحداث وحساب وثواب وعقاب، كان مصيره الخسران وبُطلان أعماله جزاءً له على ما فعل.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤٧ ﴾ [الأعراف: ١٤٧].

القوم الذين استكبروا في الأرض بغير الحق وعاثوا فيها فسادًا وتدميرًا ونشرًا للفسق والرّذيلة، وكذّبوا بدين الله تبارك وتعالى وبرسله وبآياته الكريمة، وأنكروا يوم القيامة والبعث بعد الموت، وجحدوا لقاء الله في الآخرة، هؤلاء جميعًا أعمالهم باطلة، وذنوبهم ثابتة؛ لأنهم حادوا عن طريق الحق والصّواب فكانت أعمالهم حسرات عليهم بعدما فعلوها في غير رضا الله تبارك وتعالى، وكانت دون إخلاص ففقدت القَبول[1] فأصبحت هذه الأعمال في ميزان الآخرة حيث موعد الثّواب والعقاب باطلة كأنها لم تكن[2] في هذا الجزاء لهم عما فعلوا من أعمال تمام العدل فكما تدين تدان خيرًا كان ذلك أو شرًا[3] فالخير إن لم يكن خالصًا لوجه الله يُرد على صاحبه، وعمومًا فالكفار لا طاعات لهم، فقد حُرموا الجنة بمجرد كفرهم بالله وتكذيب آياته واتباع غير طريق الحق والمضي في طريق الباطل، ولم تنفعهم أعمالهم وإن جاءت على شكل طاعات فلا خير يُقبل منهم مع كفرهم.[4]

فالتّكبر من أبرز أسباب ودواعي الابتعاد عن طاعة الله تبارك وتعالى، وبالتالي فهو أساس كل شر في الأرض، والتّكذيب بآيات الله واتباع سبل الشّيطان والإعراض عن سبيل الله والحق يوصل العبد إلى الغفلة المؤدية إلى دخول النّار. قال تعالى: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٤٦ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

---

[1] الطّبري، **جامع البيان**، ج13/ص116.

[2] البغوي، **معالم التّنزيل**، ج2/ص235.

[3] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج3/ص427.

[4] الشّوكاني، **فتح القدير**، ج2/ص279.

المسألة الثّامنة: العذاب الأليم لمن يشترون بعهد الله ثمنًا قليلًا.

إن من أشد العذاب النّفسي الذي يتعرض له من يشترون بعهد الله ثمنًا قليلًا، هو إعراض الله تعالى عنهم، فلا يكلمهم ولا ينظر إليهم ولا يرفع من شأنهم، إضافة إلى العذاب الجسدي عبر تعذيبهم وحرمانهم من نصيبهم في الآخرة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧ ﴾ [آل عمران: ٧٧].

سبب النّزول:

جاء في سبب نزول الآية الكريمة أن النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ هو عليها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان" فجاء الأشعث فقال: أنزلت هذه الآية فيَّ حيث كانت لي بئر في أرض ابن عم لي فقال لي: هل لديك شهود على ملكيتك للبئر داخل الأرض، قلتُ: ليس لدي شهود، قال: إذن تحلف يمينًا على ذلك، فقال النّبي هذا الحديث ونزلت الآية تصديقًا له[1] الذين يفرطون بعهد الله تبارك وتعالى لهم ويضيعون الأمانة والوصية التي أوصاهم بها بتصديق النّبي صلى الله عليه وسلم واتباع طريقه، والإيمان بما جاء به من أحكام وتشريعات وأخبار، ويستحلون الحرام ويأكلون أموال النّاس بالباطل والكذب والبهتان والتّلفيق والأيمان الكاذبة، ويفعلون ذلك مقابل ثمن بخس وعوض زائل من حطام الدّنيا الفانية، فأولئك يَحرمون أنفسهم من خير الآخرة، ويقطعون نصيبهم من نعيم الجنة، ويحكمون على أنفسهم بدخول النّار، ليعذبهم الله فيها، ومن العذاب الإضافي لهم ألا ينظر الله إليهم ولا يكلمهم بكلام يسعدهم ولا يقدم لهم خيرًا غضبًا وسخطًا منه عليهم، فلا يغفر لهم ذنوبهم ولا يطهرهم من خطاياهم، فيذوقون أشد أنواع العذاب ألمًا ووجعًا[2] ذلك أنهم آثروا الحياة الدّنيا على الآخرة، ونكثوا ونقضوا عهدهم مع الله مقابل ثمن بخس من مصالح الدّنيا، واختاروا الغدر على الوفاء.[3]

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المساقاة، باب الخصومة في البئر والقضاء عليها، ج3/ص110، رقم الحديث: 2356.

[2] الطّبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج6/ص527.

[3] قطب، **في ظلال القرآن**، مج1/ص418.

والعهد يدخل فيه ما يصدر عن الله تبارك وتعالى ورسله من أوامر واجب الالتزام بها، وكل عهد يأخذ الإنسان على نفسه طالما لم يكن فيه معصية لله وجب الوفاء به[1] فمن وصل به قلة دينه وإيمانه إلى درجة أن يشتري بعهد وأيمان الله ثمنًا قليلًا، فقد وصل المرتبة القصوى في التجرئ على دين الله تعالى، فكيف يتصور صلاحه بعد كل هذا؟[2]

وقد عُرف اليهود بالخيانة منذ أمد بعيد، فيجب الحذر منهم وعدم استئمانهم أو الوثوق بهم، فمن يكذب على الله تبارك وتعالى لن يتورع من الكذب على البشر، وقد اشتروا بعهد الله ثمنًا قليلًا فأمثال هؤلاء لا تُصدق أيمانهم ولو حلفوا ألف مرة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٩ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ۝١٠﴾ [التوبة: ٩ – ١٠].

المسألة التّاسعة: أحوال النّاس في اليوم الآخر.

إن يوم القيامة أعظم يوم في حياة الخلق جميعًا، فيه يجتمع النّاس وينال كل ذي حق حقه، وتُسترد المظالم، فالمحكمة قاضيها رب العباد وشهودها الملائكة وهناك لا يُظلم أحد مثقال ذرة، فهل من متعظ ومعتبر فيتوب في الدّنيا قبل فوات الأوان؟

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ۝١٠٣﴾ [هود: ١٠٣].

إن في إيقاع الله للعقاب والعذاب على من تجبر وتكبر وظلم لموعظة وعبرة، وما أكثر الدّروس والعبر وما أقل المعتبرين والمتعظين، لذا فإنه لا يتعظ بهذا العقاب إلا من امتلأ قلبه خشية من الله، وخاف عذاب النّار يوم القيامة، والعاقل المتأمل لهلاك الظّالمين في الدّنيا يعلم أن الله الذي عاقب الظّالمين في الحياة الدّنيا الأولى قادر على أن يعاقبهم مجددًا في الحياة الآخرة، حيث يجمع الله في يوم القيامة أي : اليوم المشهود الذي يشهده الخلق جميعًا من أهل السّموات والأرض فيحاسب الخلق على أعمالهم ويجزيهم عليها

---

(1) القِنّوجي، **فتحُ البيان**، ج2/ص270.

(2) ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج3/ص290.

بالثّواب والعقاب كُلٌ بما يستحق[1] وفي إنزال الله العقاب بالظّالمين زجر لهم عن مواصلة الظّلم أو إعادته وردع لغيرهم من الإقدام على مثل أفعال هؤلاء الظّالمين؛ لأن العقاب سيكون مصيرهم والعذاب بانتظارهم وهذا وعد الله الذي يخلف وعده أبدًا[2] وأهل الطّغيان والإجرام يجمع الله لهم بين عقوبة الدّنيا والآخرة، وفي ذلك دلالة على عظيم قدرته سبحانه وتعالى وعظيم جلاله وسلطانه فيعرفون الله حق معرفته ويقدرونه حق قدره[3] وفي حشر الله للأولين والآخِرين يوم القيامة حتى لا يبقى منهم أحد دلالة على عظيم عدله تبارك وتعالى فيحكم بين الخلائق أجمعين فلا يُظلم منهم أحدٌ أبدًا[4] ومن امتلأ قلبه بالخوف من الله والحساب يوم الآخرة، كان شديد الحذر من ظلم النّاس، وكثير الحرص على فعل الطّاعات، فإن البعث لدى المؤمن من الأمور الحتمية التي لا شك فيها، أما من كفر بالله واليوم الآخر فسيأكل أصابعه ندمًا على ما فرط في طاعة الله وعلى ما أقدم عليه من ارتكاب للذنوب والخطايا. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

---

(1) القِنّوجي، **فتحُ البيان**، ج6/ص243.

(2) الطّبري، **جامع البيان**، ج15/ص476.

(3) السّعدي، **تيسير الكريم الرّحمن**، ص389.

(4) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج4/ص300.

الخاتمة:

وفي ختام هذه الدّراسة، يمكن تلخيص أهم ما تم التّوصل إليه، وذلك على النّحو الآتي:

أولًا: أهم النّتائج:

1- إنّ موضوع التّقدم والتّأخر من المواضيع المهمة التي تناولها القرآن الكريم، حيث بلغت الآيات التي تحدثت عن الموضوعين مئتين وثمانية وتسعين آية، إضافة إلى ذكر العديد من الألفاظ ذات الصّلة.

2- التّطبيق العملي الصّحيح لمنهج التّقدم والتّأخر على أرض الواقع، لا يكون إلا عبر الالتزام بالدّين الحق، وبالعقيدة السّليمة، وعدم السّير وراء الشّعارات البراقة التي تخالف أصول الدّين، ولا يجني الإنسان منها إلا الشّقاء في الدّنيا والآخرة.

3- إن تقدم وتأخر النّاس سواءً في الدّنيا أو الآخرة، ليس على درجة واحدة، فهناك تفاوت بينهم، في فعل الخير والشّر، وسمو الرّفعة والمكانة، مما له أثر واضح على جزائهم في الدّنيا والآخرة.

4- لا بُد من الوقوف على أسباب ومجالات التّقدم والتّأخر ومعرفتها وفهمها ووعيها، لما لذلك من أهمية كبيرة في تحقيق التّطور والازدهار والاستقرار والسّعادة في الدّنيا والآخرة.

5- شجعت آيات القرآن الكريم على التّقدم في النّواحي الإيجابية، لما له من أثر كبير في تحقيق سعادة البشرية، وذمت التّأخر عن فعل الخير لما له من دور في إحجام الإنسان عن بناء الحضارة وصناعة المجتمع الإسلامي المؤمن المتكافل.

6- جعل الله الإنسان خليفة في الأرض، وهذه من أعلى مراتب التّقدم في المنزلة والشّرف، لذلك أوجب عليه العمل على عمارة الأرض بتقديم كل ما من شأنه المحافظة عليها وفي مقدمته نشر الدّين وعقيدة التّوحيد، ومحاربة كل ما يؤدي إلى العبث في استقرارها وفي مقدمته الشّرك وطرق الغواية والضّلال.

7- للمتقدمين صفات جيدة كإدارة الأزمات الاقتصادية في وقت الشّدائد، ولديهم صفات سلبية كظلم النّفس بالإعراض عن طاعة الله والقنوط من رحمته وقت الابتلاءات، وللمتأخرين صفات جيدة كالتّصديق بالآخرة، ومحاربة أعداء الدّين، وتقوى الله في التّعامل مع النّاس، وعمارة المساجد، وصفات قبيحة كاستحباب الدّنيا على الآخرة والصّد عن سبيل الله، ونشر الفاحشة في المجتمعات.

8- لفظ التّقدم لا يعني الخير والإيجابية في كل الأحوال، ولفظ التّأخر لا يعني الشّر والسّلبية في كل الأحوال، إنما يُنظر في ذلك إلى سياق الآيات الواردة في كتاب الله تبارك وتعالى.

ثانيًا: أهم التّوصيات:

1- الدّعوة إلى ربط ما توصلت إليه هذه الدّراسة القرآنية، بواقع الحياة المجتمعية لدى النّاس مما له من دور كبير في تعديل سلوكياتهم وأخلاقهم نحو بناء جيل مسلم يقود البشرية إلى مواطن التّقدم والخير.

2- العمل على جعل أفكار هذه الدّراسة القرآنية وغيرها من ضمن المواضيع التي يتم تدريسها في الجامعات لتؤدي رسالتها ودورها في تغيير واقع حياة المسلمين بناءً على ما جاء به القرآن الكريم والسّنة النّبوية الشّريفة.

3- بذل جهود أكبر في خدمة التّفسير الموضوعي، فالقرآن الكريم بحر من الفوائد التي لا تنقضي ولا تنتهي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصّالحات.

مسرد قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1- ابن الأثير، مجد الدّين أبو السّعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشّيباني الجزري، ت:606هـ، **النّهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزّاوي – محمود محمد الطّناحي، المكتبة العلمية – لبنان – بيروت، دط، 1399هـ – 1979م.

2- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد بن الهروي، ت:370هـ، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التّراث العربي – لبنان – بيروت، ط1، 1422هـ – 2001م.

3- الألوسي، شهاب الدّين محمود بن عبد الله الحسيني، ت:1270هـ، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1415هـ – 1994م.

4- إبراهيم أنيس – عبد الحليم منتصر – عطية الصوالحي – محمد خلف الله أحمد، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، مصر – القاهرة، ط4، 1424هـ – 2004م.

5- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، ت: 256هـ، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر النّاصر، دار طوق النّجاة للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت – لبنان، ط1، 1422هـ – 2001م.

6- البغوي، محيي السّنة، أبو محمد الحسين بن مسعود، ت: 510هـ، **معالم التّنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: محمد عبد الله النّمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنّشر والتّوزيع، الرّياض – السّعودية، ط4، 1417هـ – 1997م.

7- البقاعي، أبو بكر إبراهيم بن عمر بن حسن الرّباط بن علي، ت:885هـ، **نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور**، دار الكتاب الإسلامي للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة – مصر، دط، دس.

8- البيضاوي، ناصر الدّين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشّيرازي، ت:685هـ، **أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل**، تحقيق: محمد عبد الرّحمن المرعشلي، دار إحياء التّراث العربي – بيروت، ط1، 1418هـ – 1997م.

9- الثّعالبي، أبو زيد عبد الرّحمن بن محمد بن مخلوف، ت:875هـ، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: الشّيخ محمد علي معوض – الشّيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التّراث العربي للنشر والتّوزيع، بيروت – لبنان، ط1، 1418هـ – 1997م.

10- الجمل، حسن عز الدّين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد، **مخطوطة الجمل - معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن الكريم**، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط1، 1424هـ - 2003م.
11- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، ت:393هـ، **الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - لبنان - بيروت، ط4، 1407هـ - 1987م.
12- حمدان، عائشة، **التّقدم والتّأخر في ضوء قوله تعالى"ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين" –** الحجر: 24، مجلة تبيان، العدد 38، الجمعية العلمية السّعودية للقرآن الكريم وعلومه، 1442هـ - 2020م.
13- الحميري، نشوان بن سعيد اليمني، ت:537هـ، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، تحقيق: د. حسين عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د. يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر - لبنان - بيروت، دار الفكر - سوريا - دمشق، ط1، 1420هـ - 1999م.
14- أبو حيان الأندلسي، أثير الدّين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، ت: 745هـ، **البحر المحيط في التّفسير**، تحقيق: صدقي جميل، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، - بيروت، دط، 1420هـ - 2000م.
15- الخازن، علاء الدّين أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشّيحي، ت: 741هـ، **لباب التّأويل في معاني التّنزيل**، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415هـ - 1995م.
16- الرّازي، فخر الدّين، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التّيمي، ت:606هـ، **مفاتيح الغيب**، دار إحياء التّراث العربي للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت - لبنان، ط3، 1420هـ - 1999م.
17- الرّاغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، ت: 502هـ، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الدّاودي، دار القلم، الدّار الشّامية، دمشق - بيروت، ط1، 1412هـ.
18- الزّجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السّري بن سهل، ت:311هـ، **تفسير أسماء الله الحسنى**، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، دار المأمون للتّراث، سوريا - دمشق، ط2، 1395هـ - 1979م.
19- الزّمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، ت: 538هـ، **الكشاف عن حقائق غوامض التّنزيل**، دار الكتاب العربي للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت - لبنان، ط3، 1407هـ - 1986م.

20- السّعدي، عبد الرّحمن بن ناصر بن عبد الله، ت:1376هـ، **تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرّحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرّسالة للطباعة والنّشر والتّوزيع – بيروت – لبنان، ط1، 1420هـ – 2000م.

21- أبو السّعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى، ت:982هـ، **إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التّراث العربي للنشر والتّوزيع – بيروت – لبنان، دط، دس.

22- السّمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، ت: 373هـ، **بحر العلوم**، دار الكتب العلمية للنشر والتّوزيع، بيروت – لبنان، ط1، 1413هـ – 1993م.

23- ابن سِيدَه، أبو الحسن علي بن إسماعيل، ت:458هـ، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط1، 1421هـ – 2000م.

24- الشّوكاني، محمد بن علي ببن محمد بن عبد الله اليمني، ت: 1250هـ، **فتح القدير الجامع بين فني الرّواية والدّراية من علم التّفسير**، دار ابن كثير، دار الكلم الطّيب، دمشق – بيروت، ط1، 1414هـ – 1993م.

25- الطّبري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، ت:310هـ، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار مؤسسة الرّسالة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت – لبنان، ط1، 1420هـ – 2000م.

26- طنطاوي، محمد سيد، **التّفسير الوسيط للقرآن الكريم**، دار نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، الفجالة – القاهرة، ط1، 1417هـ – 1997م.

27- ابن عاشور، محمد الطّاهر بن محمد بن محمد الطّاهر، ت: 1393هـ، "**تحرير المعنى السّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**"، الدّار التّونسيّة للطباعة والنّشر والتّوزيع، تونس، دط، 1404هـ – 1984م.

28- عبد الباقي، محمد فؤاد، ت: 1388هـ، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الحديث، مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة، دط، 1346هـ – 1944م.

29- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرّحمن بن تمام الأندلسي المحاربي، ت: 542هـ، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السّلام عبد الشّافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1422هـ – 2001م.

30- عمر، لأحمد مختار عبد الحميد وآخرون، ت:1424هـ، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب للنّشر والتّوزيع، القاهرة – مصر، ط1، 1429هـ – 2008م.

31- عوض، محمد يوسف عبد القادر، **أسماء الزّمن في القرآن الكريم (دراسة دلالية)**، رسالة ماجستير في اللغة العربية بكليات الدّراسات العليا، في جامعة النّجاح الوطنية - نابلس - فلسطين، 1430هـ - 2009م.

32- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، ت:395هـ، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - لبنان - بيروت، دط، 1399هـ - 1979م.

33- الفراهيدي، أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، ت:170هـ، **كتاب العين مرتبًا على حروف المعجم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت، ط1، 1424هـ - 2003م.

34- القرطبي، أبو عبد الله شمس الدّين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، ت: 671هـ، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني - إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة - مصر، ط2، 1384هـ - 1964م.

35- قطب، سيد بن قطب بن إبراهيم بن حسن الشّاربي، ت: 1387هـ، **في ظلال القرآن**، دار الشّروق للطباعة والنّشر والتّوزيع - القاهرة، ط32، 1423هـ - 2003م.

36- القِنّوجي، أبو الطّيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري، ت: 1307هـ، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصريّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، صَيدا - بيروت - لبنان، دط، 1412هـ - 1992م.

37- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدّمشقي، ت: 774هـ، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسين شمس الدّين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1419هـ - 1998م.

38- الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، ت: 333هـ، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السُّنة)**، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1426هـ - 2005م.

39- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، ت:450هـ، **النّكت والعيون**، تحقيق: السّيد ابن عبد المقصود بن عبد الرّحيم، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، دط، دس.

40- مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النّيسابوري، ت:261هـ، **المسند الصّحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياث التّراث العربي للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت - لبنان، دط، دس.

41- مقاتل، أبو الحسن بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، ت: 150هـ، **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحيار التّراث العربي للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت – ط1، 1423هـ – 2002م.

42- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، ت:711هـ، **لسان العرب**، دار صادر للنّشر والتّوزيع، لبنان – بيروت، ط3، 1414هـ – 1993م.

43- النّيسابوري، نظام الدّين الحسن بن محمد بن حسين القمي، ت:850هـ، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: الشّيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط1، 1416هـ – 1995م.

44- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشّافعي، ت: 468هـ، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدّكتور عبد الرحمن عويس قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية للنشر والتّوزيع، بيروت، ط1، 1415هـ – 1994م.

مسرد المحتويات

الموضوع	رقم الصّفحة
إقرار	أ
الشّكر والتّقدير	ب
الملخص باللغة العربية	ت
الملخص باللغة الإنجليزية	ث
المقدمة	ج
خطة الدّراسة	د
الفصل الأول: مفهوم التّقدم والتّأخر ودلالتهما في السّياق القرآني.	1
المبحث الأول: تعريف التَّقدم والتَّأخر في اللغة والاصطلاح.	3
المبحث الثَّاني: مواضع آيات التّقدم والتّأخر في القرآن الكريم.	7
المبحث الثَّالث: الألفاظ ذات الصّلة بالتَّقدم والتَّأخر في القرآن الكريم.	23
الفصل الثَّاني: مجالات التَّقدم في القرآن الكريم.	26
المبحث الأول: التَّقدم الزَّمني في القرآن الكريم.	28
المبحث الثَّاني: التَّقدم في المنزلة والشَّرف في القرآن الكريم.	37
المبحث الثَّالث: التَّقدم في الخير والشَّر في القرآن الكريم.	39

الفصل الثَّالث: صفات المتقدمين في القرآن الكريم.	53
المبحث الأول: أفضل صفات المتقدمين.	55
المبحث الثَّاني: أقبح صفات المتقدمين.	57
المبحث الثَّالث: المتقدمون وجزاء أعمالهم في الدُّنيا والآخرة.	64
الفصل الرّابع: مجالات التَّأخر في القرآن الكريم.	70
المبحث الأول: التَّأخر الزَّمني في القرآن الكريم.	72
المبحث الثَّاني: التَّأخر في المنزلة والشَّرف في القرآن الكريم.	79
المبحث الثَّالث: التَّأخر في الخير والشَّر في القرآن الكريم.	81
الفصل الخامس: صفات المتأخرين في القرآن الكريم.	88
المبحث الأول: أفضل صفات المتأخرين.	90
المبحث الثَّاني: أقبح صفات المتأخرين.	101
المبحث الثَّالث: المتأخرون وجزاء أعمالهم في الدُّنيا والآخرة.	110
الخاتمة.	124
مسرد المصادر والمراجع.	126
مسرد المحتويات.	131